

السنة الجامعية: 2018/2019م



إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

كل من ساندني وقدم لي يد العون من قريب أو من بعيد، وإلى كل العائلة الكريمة من
كبيرها إلى صغيرها، خاصة الوالدين الكريمين اللذين سانداني ماديا ومعنويا طوال فترة
البحث، ولن أنسى راويات الحكايات وأشكرهن على صبرهن علينا وعلى منحهن وقتهن
لنا.

كما أهديه إلى جميع الأصدقاء.

نادية

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

إلى روح جدي رحمه الله

إلى القلب الذي ينبض في كلّ دقيقة بالحب والحنان، الشخص الذي لطالما ساعدني

طيلة مسيرتي التعليمية، والذي وقف إلى جانبي وساندني طيلة حياتي... أمي

إلى أبي الذي طالما ساندني

إلى كلّ الإخوة الأعزاء

كما أهديه إلى جميع العائلة

ريمة

مقدمة

تعتبر الحكاية الشعبية -بالأخص الحكاية الخرافية- جزءا من الموروث الشعبي، فقد شغلت تفكير الدارسين والباحثين لما لها من أهمية في نقل الواقع الحضاري والتصور الخيالي الخاص بشعوبها من جهة، والواقع الإنساني العام المتشابه من جهة أخرى. فرغم اختلاف اللغات والعادات والتقاليد، إلا أننا نجد أن الحكايات الخرافية تتشابه فيما بينها، ويعتبر الجانب الخيالي من هذه الحكايات أكثر تميزا لما يحمله من ظواهر سحرية وعجائبية، ومن الظواهر التي لفتت انتباهنا في الحكاية الخرافية ظاهرة تحول الشخصيات الآدمية إلى شخصيات غير آدمية، كالحيوانات الأرضية والحيوانات المجنحة، والحيوانات المائية.

ولاحظنا هذه الظاهرة في كل من الحكايات المحلية والعربية والعالمية، فارتأينا أن يكون موضوع بحثنا: «تحول الشخصيات في الحكاية الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة مقارنة أنثروبولوجية تطورية».

وتكمن أهمية هذا الموضوع في قلة الدراسات الأنثروبولوجية حول الحكاية الشعبية عامة، وظاهرة تحول الشخصيات خاصة، ولاسيما الدراسات الأنثروبولوجية المقارنة بين التراث القبائلي والعربي وعدم إعطاء هذا الموروث القدر الكافي الذي يستحقه من الدراسة والاهتمام.

وقد كان لاختيارنا هذا الموضوع سبب موضوعي متمثل في البحث عن سر التشابه والاختلاف بين الحكايات الشعبية الخرافية المحلية القبائلية والعربية ويضاف له سبب ذاتي متمثل في شغفنا لعالم الحكاية الشعبية التي تعودنا الاستماع إليها في طفولتنا.

وبناء على ذلك فقد ظهرت لنا عدة إشكالات:

- ما المقصود بظاهرة التحول؟

- كيف يحدث هذا التحول؟

- بماذا يرتبط التحول؟ بالمعتقد الديني، بالسحر مثلا، أم هو مجرد خيال؟

- هل هناك تشابه بين تحول الشخصيات في الحكاية الشعبية الخرافية القبائلية المحلية وحكايات ألف ليلة وليلة؟

وللإجابة عن التساؤلات السابقة، نفترض بأن ظاهرة التحول مرتبطة ببقايا المعتقدات الدينية القديمة وبالسحر بصفة خاصة، وللتأكد من صحة فرضيتنا السابقة سنستعين بالنظرية الأنثروبولوجية التطورية (المقارنة) وبالمنهج الميثولوجي الخاص بتطور المعتقدات الدينية، ومن أهم ممثليها: جيمس فرايزر، وميرسيا إلياد.

وقسمنا بحثنا إلى فصلين:

الفصل الأول بعنوان "مفاهيم نظرية" ويحتوي على ثلاثة مباحث، تناولنا في الأول مفهوم التحول، وفي الثاني تعريف الحكاية الشعبية وأبرز أنواعها، وفي الثالث تعريف منهج الدراسة.

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان التحول في الحكاية الشعبية مقارنة أنثروبولوجية مقارنة، ويحوي على ثلاثة مباحث، ففي الأول قمنا بتقديم مدونة الحكايات، وفي الثاني التحول في الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة، وفي الثالث التحول في الحكاية الشعبية، دراسة مقارنة.

وفي الخاتمة حوصلنا أهم نتائج البحث.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

نبيلة إبراهيم أشكال التعبير في الأدب الشعبي، عبد الحميد بورايو القصص الشعبي في منطقة بسكرة، جيمس فرايزر كتاب الغصن الذهبي، ميرسيا إلياد كتاب تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، أوفيد كتاب مسح الكائنات، جاك لومبارد المدخل إلى الانتولوجيا.

اعترضتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث صعوبات وعوائق منها:

قلّة المراجع التي تناولت ظاهرة تحوّل الشخصيات.

صعوبة جمع مدونة معتبرة من الحكايات الشعبية من الميدان، لقلّة الرواة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بالشكر والعرفان للأستاذة المشرفة "زهية طراحة" على صبرها علينا، والتي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها، وبفضلها استطعنا أن ننجز هذا البحث.

وهذا ما استطعنا الوصول إليه بعد جهد بذلناه، وكل ما نتمناه أن نكون قد وفينا هذا العمل حقه.

الفصل الأول

مفاهيم نظرية: التحوّل، الحكاية الشعبية،
المقاربة الأنثروبولوجية

المبحث الأول: التحوّل

المبحث الثاني: الحكاية الشعبية

المبحث الثالث: المقاربة الأنثروبولوجية

المبحث الأول: التحول

إثر اطلاعنا على تراثنا الشعبي من حكايات خرافية، شدد انتباهنا ظاهرة تحول بعض شخصيات الحكايات، فما المقصود من كلمة تحول؟ وكيف تحدث هذه الظاهرة؟

إذا تصفحنا مفهوم التحول، نجد أنّ "التحول: التنقل من موضع إلى موضع"⁽¹⁾، فكلمة "التحول" هنا يقصد بها التحول المكاني، بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

"تحول: تحوّلًا: تنقل من مكان إلى مكان، تنقل من حال إلى حال."⁽²⁾

"تحول الشخص إلى كذا/ تحول الشيء إلى كذا: تبدّل من حال إلى حال، أو تنقل من موضع إلى موضع."⁽³⁾

التحول هو تغيير الشيء أو الكائن من مظهره، أو من هيئته الطبيعية التي خلق عليها إلى هيئة جديدة مخالفة، إلى شكل آخر، كتحول الإنسان من هيئته التي هو عليها إلى حيوان، وقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم بما يسمى بـ "المسخ"، وكذا في الأساطير والحكايات الخرافية. فما هو المسخ؟ وما هو الفرق بينه وبين التحول؟

1- تعريف المسخ

يعرف ابن منظور المسخ كما يلي: "المسخ: تحويل صورة إلى صورة أقرب منها، وفي التهذيب: تحويل خلق إلى صورة أخرى، مسخه الله قرداً يمسخه وهو مسخ ومسيخ، وكذلك المشوه الخلق."⁽⁴⁾

وفي حديث بن عباس: "الجان مسيخ الجن كما مسخت القردة من بني إسرائيل...مسيخ: فعيل بمعنى مفعول من المسخ، وهو قلب الخلقة من شيء إلى شيء."⁽⁵⁾

¹ - ابن منظور، لسان العرب المجلد 3، دار صادر بيروت، ط 3، 1994، ص 189.

² - جبران مسعود، الزائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، ط 7، 1992، ص 199.

³ - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008 ص 586.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 55.

⁵ - المرجع نفسه.

مسخ، يمسخ: مسخا: حوّل صورته إلى صورة قبيحة... المسخ: اعتقاد بانتقال النفس من بدن الإنسان إلى بدن حيوان يناسبه في الأوصاف.⁽¹⁾

وقد صرح القرآن الكريم في عدد من الآيات بأن الله عز وجلّ قد غضب على جماعة من الناس فمسخهم إلى حيوانات من بينها قردة وخنزير، قال عز وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾⁽²⁾، وقال أيضا: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾⁽³⁾

فالمسح هو تحويل صورة إلى صورة أقبح منها؛ كتحويل الله عز وجلّ الإنسان من صورته التي هو عليها إلى قرد أو خنزير.

كما جاء في تاج العروس لـ "محمد مرتضي الزبيدي" عن المسخ: "مسخه: كنعه: حوّل صورته إلى أخرى أقبح ومسحه الله قردا فهو مسخ ومسيخ... والمسيخ المشوه الخلق ومن لا ملامح له".⁽⁴⁾

يقول تعالى في سورة يس: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾⁽⁵⁾.

وفي مادة "المسخ": تقرأ ما يلي: "مصدر، وعند الحكماء انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى بدن حيوان آخر يناسبه في الأوصاف كبدن الأسد للشجاع وبدن الأرنب للجبان. وهو من أقسام التناسخ... وفي "ألف ليلة وليلة"، نجد أنّ هذا النوع من "التحوّلات" يكون نتيجة لعمليات "مسخ"، تتم، عامة، بإرادة شخص ذي قدرة خارقة (سحرية)، إذ يُسلّطها

¹ - جبران مسعود، المرجع السابق، ص 737-738.

² - سورة البقرة (2)، الآية 65.

³ - سورة المائدة (5) الآية 60.

⁴ - محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس المجلد السابع، دار مكتبة الحياة، بيروت / لبنان، ط7، د ت، ص 289.

⁵ - سورة يس (36)، الآية 67.

على شخصٍ آخر، فينقلب هذا الأخير، بمفعولها إلى مسخٍ، أي إلى حيوان أو كائن نصفه إنسان ونصفه الآخر حجر.⁽¹⁾

ويقول "نبيل حمدي الشاهد" أن "المسخ" هو أحد التيمات الرئيسية في القصص العجائبي، المسخ هو تحول الكائنات من جنسها المخلوقة عليه إلى جنس آخر بعيدة عنه مع احتفاظها بعد التحول ببعض السيمات من جنسها الأول، وهو في كل الأحوال يدخل في زاوية الغلو إذ إن امتساخ شيء ما هو إلا خضوعه لتحولات تضالته من حيث الزيادة أو النقصان.⁽²⁾

يرى إبراهيم وطفى أن "الإنمساخ تعني كلمة Die Verwandlung الألمانية، بعامة التحول، أي الانتقال كلياً من حالة إلى حالة أخرى. مثال: الساحر يحول الأمير، في الحكاية، إلى ضفدع، أي بمعنى: يمسخه... والكلمة الألمانية لا تعني بحال من الأحوال المسخ، أي الشخص الذي جرى مسخه، وإنما تعني فعل الإنمساخ؛ كما أنها لا تتضمن تحديد فيما إذا كان التحول سلبياً أم إيجابياً، لذا فإن الترجمة الأكثر دقة لهذه الكلمة هي "التحول".⁽³⁾

أما عن ترجمة منير البعلبكي لقصة "فرانز كافكا" الإنمساخ أو التحول، فقد ترجم العنوان بـ "المسخ"، وهو كما يقول إبراهيم وطفى فهو عنوان خاطئ.

وكذلك جاء في ترجمة مسخ الكائنات لأوفيد على لسان المترجم أن "كلمة (ميتامورفوزس) التي هي عنوان الكتاب تعني حرفياً الانتقال من حال إلى حال، لا يشترط فيها حال دنيا ولا حال عليا".⁽⁴⁾

2- الفرق بين المسخ والتحول

نستنتج مما سبق أن المسخ هو الانتقال من حالة عليا إلى حالة دنيا لأسباب دينية أو عقوبات سلطت من الله على الإنسان، ونلاحظ أن هناك فرق بين المسخ والتحول؛ لأن

¹ - فرانتس كافكا، التحول، ترجمة مبارك وساط (خواطر سريعة... للتأمل)، من منشورات الجمل، بيروت لبنان، ط1، دت، ص94.

² - نبيل حمدي الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم، النشر والتوزيع الوراق، (د ط ت)، ص365.

³ - فرانتس كافكا، الإنمساخ، ترجمة إبراهيم وطفى، دار الكلمة ودار الحصاد، سوريا، ط1، 2014، ص71.

⁴ - أوفيد، مسخ الكائنات، ترجمة: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1992 ص27.

التحول ليس بالضرورة الانتقال من حال أعلى إلى حال أدنى، يمكن أن يكون تحولا ارتقائيا أي من حال أدنى إلى حال أعلى.

كما أن التحول يشمل على تغيير الأشياء والإنسان، بينما المسخ ينحصر على تحويل الإنسان إلى حيوان أو أشياء.

تطرقنا فيما سبق أن المسخ يحدث بفعل الإله كعقاب للإنسان، وذلك بإنزال السخط عليه وتحويله إلى حيوان، فكيف يحدث التحول في الحكايات الخرافية؟ وهل يبقى المتحول إلى حيوان على تلك الحالة أم بمقدوره العودة إلى حالته الطبيعية؟ وكيف يتم ذلك؟

3- التحول "المسخ" والسحر

السحر حقيقة أزلية عرفته الأجناس منذ القدم، لذلك نجده يستخدمونه في معظم حكاياتهم التي تنقل يومياتهم وأحلامهم، وفي تحقيق مطالبهم وأهدافهم، وكذلك في الانتقام من الآخرين، سواءً بكسر العلاقات فيما بينهم كالتفريق بين الأزواج وأيضا بتنزيل السخط عليهم وذلك بتحويلهم إلى حيوانات.

وعن ذلك يقول "نبيل حمدي الشاهد": "ولقد ارتبط المسخ في القص الشعبي بأمر السحر والخوارق، بل أن تغير صورة الإنسان إلى حيوان أكثر موضوعات السحر انتشارا وتكرارا في الليالي، ولذلك يربط ماهر البطوطي بين السحر والمسخ برباط وثيق إذ أن عددا كبيرا من أعمال السحر في القصص يتعلق بالتحولات، أو المسخ. وهذه الأمور يقوم بها الساحر أو كاهن أو جني لهم جميعا القدرة على إنزال العقاب بمن يخافون منه أو يغارون منه أو لا يقدرّون على مقاومته".⁽¹⁾

أما شوقي عبد الحكيم فيرى: "أن هذه التحولات كانت أقرب إلى أن تكون ممارسات شعائرية، فهي عادة، كما يقول كراب ما يتوفر لها كخرافة شرط جوهري واحد، هو أن تكون حكايات متقنة جيدة وممتعة، منطقية في بنائها، تحمل إلى الناس غاية أخلاقية بصرف النظر عن محلية هذه الغاية".⁽²⁾

¹ - نبيل حمدي الشاهد، المرجع السابق، ص 366.

² - شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1980، ص 148.

ويقول أيضا: "تعرف هذه الخاصية المتردة بكثرة في خرافاتنا العربية خاصة السحرية "بالسخت والمساخيط، وهي مقدرة التحولات لشخوص الحكايات إلى حيوانات، وبالطبع فهي خاصة ليست بقاصرة على تراثنا الفولكلوري العربي، بل هي ملازمة للسحر كملح عالمي، أو هو قاسم مشترك لموروثات العوالم القديمة في عمومها."⁽¹⁾

ويعود ارتباط السحر بالقص الشعبي إلى ممارسة هذه الظاهرة في المجتمعات القديمة، فهي عادة يومية لديهم، يمارسها الساحر أو الكاهن أو الجني، وقد عرفت انتشارا في مختلف المجالات كالتحكم في الطبيعة، وممارستها في الطب لشفاء المرضى وغيرها من الاستعمالات الأخرى، ولعل إدماج ظاهرة التحول في السحر قد تكون تأثرا بالدين أو بالمعتقدات والأساطير القديمة.

فنجد هذه الظاهرة مجسدة في معظم الحكايات الخرافية، كحكايات "ألف ليلة وليلة" التي لا تخلو من القصص العجيبة والمثيرة والتي نسج فيها الكثير من حكايات الممسوخة عن الأشخاص الذين تحولوا إلى حيوانات أو أشياء أخرى مثل حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل" حيث قامت جوهرة بنت الملك السمندل بسحر بدر باسم وتحويله إلى طير، وكذلك حكاية العفريت والتاجر أين حولت زوجة الأب ابن زوجها إلى عجل وأمه إلى بقرة، وغيرها من الحكايات الأخرى.

كما لا يخلو تراثنا الفولكلوري الجزائري وبالأخص التراث الشعبي القبائلي من هذه الظاهرة، فمن خلال اطلاعنا على بعض المرويات الحكائية الخرافية لاحظنا وجود ظاهرتي المسخ والتحول، ففي حكاية "بقرة اليتامى" تحول الطفل إلى تيس وذلك بعد شربه من المنبع الخاص بالحيوان، وحكاية "البنت التي هجرها إخوتها السبعة" أين تحول الإخوة إلى حمام بفعل لعنة الغولة التي سلطتها عليهم، وغيرها من التحولات الأخرى، لكن هل الإنسان المتحول إلى حيوان يتحول كليا أم أنه يحتفظ ببعض الصفات أو الميزات التي كانت لديه قبل التحول؟

¹ - شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، المرجع السابق، ص144.

4- احتفاظ الممسوخ بصفات جنسه التي كان عليها

في حكاية بدر باسم ابن الملك شهرمان، أين تحوّل بدر باسم إلى طير، فهو رغم انه في صورة طائر إلا أنه يأكل طعام البشر، ويشرب خمورهم ويأنس معهم ويلذ بما يقدم في حضرتهم، فهو بذلك حافظ على صفاته الداخلية التي كانت فيه قبل المسخ، أي انه على استمرار مع إدراكه الداخلي لشخصيته الممسوخة، فكما يقول "نبيل حمدي" كاستنتاج "إذاً فالهوية البشرية حاضرة في الممسوخ رغم كل طبقات الوعي المسجون تحت أقبية الطيور أو الحيوانات، ولذلك يعيش الممسوخ بين ثنائية (الانفصال \ الاتصال) الانفصال عن عالمه الإنساني شكلاً في مقابل اتصاله به روحاً وعقلاً"⁽¹⁾. وهذا كإشارة فقط، لأنه سوف نتطرق لذلك بالتفصيل في التطبيق على بعض الحكايات.

ومن هنا يمكننا القول إنّ التحول ظاهرة سحرية، تزخر بها الحكايات الخرافية، وتحدث إما بفعل الإله الذي يقوم بمسخ الكائن البشري، وذلك كعقاب يسلطه عليه أو على جماعة من البشر، أو تحدث بفعل السحر، فيقوم الساحر أو الجنّي بسحر الشخص وتحويله إلى حيوان وذلك انتقاماً أو خوفاً منه.

¹ - نبيل حمدي الشاهد، المرجع السابق، ص372.

المبحث الثاني: الحكاية الشعبية

تعتبر الحكاية الشعبية نوع من أنواع الأدب الشعبي، وهي متميزة عن الأنواع الأخرى، وذلك للمكانة التي تحتلها في المجتمع، باعتبارها إحدى الدعائم المهمة في صقل شخصية الطفل، فهي تهدف إلى غرس القيم في نفوس الأبناء ودفعهم إلى تحمل المسؤولية ومواجهة الظروف الحياتية كرجال للغد، وكذلك إعداد نساء يعتمد عليهن في بناء الأسرة المستقبلية؛ وللجدات دور كبير في ذلك بفضل فطنتهن وخبرتهن في الحياة، وأسلوبهن المشوق في سرد تلك الحكايات التي تهدف من خلاله إلى توجيه الطفل وتنمية خياله وقدراته العقلية وإثراء رصيده اللغوي واكتسابه الخبرة في التعامل مع المحيطين به، لذلك كانت ومازالت الحكاية الشعبية تحتفظ بمكانتها في المجتمع عن طريق تناقلها جيلا عن جيل، إلا أنها تراجعت مؤخرا وذلك للتقدم الذي شهده العصر وانشغال الجيل الجديد بالتكنولوجيا الحديثة.

تختلف الحكايات في تصنيفها وذلك حسب شخصياتها والمواضيع التي تناولتها، وقبل التفصيل في أنواع الحكاية الشعبية نتطرق أولا إلى تعريفها:

تقول نبيلة إبراهيم بأن أي نتاج قصصي شعبي مكتمل يطلق عليه حكاية شعبية، فتعود لتوسيع هذا التعريف وذلك استناداً إلى معاجم أجنبية، ومنها الألمانية التي تعرف الحكاية الشعبية بأنها: "الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية عن جيل لآخر، أو هي خلق حر لخيال شعبي ينسجه حول حوادث مهمة، وشخوص ومواقع تاريخية... أما الإنجليزية فتعرفها بأنها "حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور، وتتداول شفاهاً، كما أنها تخص بالحوادث التاريخية الصرف أو بالأبطال الذين يصنعون التاريخ؛" لتقول في تعريف أوسع "أن الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية".⁽¹⁾

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، (د، ت)، ص119.

يعرف الباحث (أحمد رشدي صالح) الحكاية الشعبية على أنها: " فن القول التلقائي العريق، المتداول بالفعل، المتوارث جيلا بعد جيل، المرتبط بالعادات والتقاليد".⁽¹⁾

فمن هنا يمكننا القول أنّ الحكاية الشعبية هي حكاية ينسجها الخيال البشري انطلاقا من حدث أو أحداث صادفته في حياته، ويستمتع بها الشعب ويحافظ عليها جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفوية، إضافة إلى أنها تنقل العادات والتقاليد الشعبية.

يقول عبد الحميد بورايو بأنّ "الحكاية الشعبية هي أثر قصصي ينتقل مشافهة أساسا، يكون نثريا يروي أحداثا خيالية لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، تنسب عادة للبشر وحيوانات وكائنات خارقة، تهدف إلى التسلية وترجية الوقت والعبرة".⁽²⁾

فالحكاية الشعبية هي قصة ليس لها مؤلف معروف تنسب إليه، لذلك فهي تصنف في التراث الثقافي اللامادي، وتتعدد صيغ الإبداع فيها باختلاف راويها وطريقة سردهم ووصفهم للأحداث، بإضافة عناصر التشويق لها وذلك دون المساس بالنسق العام للحكاية، فبالرغم من اختلاف الثقافات إلا أننا نجد معظم الحكايات الشعبية متشابهة في جميع أنحاء العالم مع وجود بعض الاختلافات التي لا تؤثر على جوهر الحكاية.

يعود التشابه بين الحكايات رغم تباين المسافات الزمانية والجغرافية إلى الظروف البيئية والمشاكل التي يواجهها البشر في أنحاء العالم، ويجدون لها نفس الحلول، ويفسرون بذلك تكرار التفاصيل ذاتها ومواضيع نفسها؛ "إنّ كل حكاية أو نموذج لحكاية من الممكن أن يؤلف ويعاد تأليفه من جديد مئات المرات في أزمنة وأماكن مختلفة، وإن التشابه الذي نلاحظه بين الحكايات في بلاد مختلفة ما هو إلا نتيجة لتشابه العوامل الخلاقة للعقل البشري"⁽³⁾.

¹-هادي نعمان الهيتي، الحكاية الشعبية... أهميتها، عناصرها ووظائفها، مجلة الحوار: 2 نوفمبر 2015.

²- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، ص118.

³- غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، (د، ط، ت)، ص7.

تتمثل الحكاية الشعبية العربية بصورة عامة بالبساطة في الأسلوب، لأنها عادة تحكي للعامة، لذلك يجب أن يكون الأسلوب بسيطاً خالياً من الكلمات الصعبة والجمال المعقدة، أما بالنسبة للوضعية المبدئية فإنّ معظم الحكايات تبدأ بافتتاحية تقليدية "كان في قديم الزمان"، أما الحكاية الشعبية الخرافية تبدأ عادة بـ "كان بإمكان على الله والتكلان كل من عليه يقول التوبة وأستغفر الله". كما أن جميع الحكايات تنتهي بنهاية سعيدة كالزواج، وجمع الشمل وبقصاص المعتدي.⁽¹⁾

وقد اختلفت أنماط الحكايات الشعبية من باحث لآخر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الصعوبات التي واجهت الدارسين في تحديد المعايير والمقاييس المعتمدة في تصنيف تلك الحكايات، ومن أبرز تلك الأنماط هذه التي سنتطرق إليها:

1- الحكاية الخرافية

تعد الحكاية الشعبية الخرافية من أبرز أنواع الحكاية الشعبية وهذا لأنها الأكثر انتشاراً لتداولها بكثرة في تراثنا الشعبي، وتعرف بالخرافات (الخريفة)، ومن بين هذه الخريفات نجد حكايات الغيلان، وحكايات الجنّ، إذ تعتبر الحكاية الخرافية كنز من كنوز التراث الشعبي وذلك لكونها تنقل حياة الشعوب البدائية، وتصوراتهم ومعتقداتهم، ولهذا لقيت اهتماماً كبيراً لدى الباحثين والدارسين، كما أنها احتلت الصدارة في التصنيف العالمية كما يرى "عبد الحميد بورايو" قائلاً: "أن الحكاية الخرافية شكلاً قصصياً ذات طابع عالمي، يطلق عليه باللغة الفرنسية مصطلحي Conte merveilleux و Conte de fées استخدم الدارسون عدة مصطلحات لتعيينه باللغة العربية من بينها: الحكاية العجيبة، الخرافة، الحكاية السحرية، حكاية الجنّ، تتميز الحكاية الخرافية بخصائص شبه ثابتة وقد منحها دارسو الأدب الشعبي العالمي عناية خاصة، فاحتلت الصدارة في التصنيف العالمية مثل تصنيف أنثي آرني "Ante Arne وستيث طومبسون Stith Thompson، كما خصص لها العالم

¹ - توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص16.

الألماني "فريدريش فون درلاين" Friedriche Von Der Leyen كتابا أسماه Das marchen ترجمته نبيلة إبراهيم تحت عنوان الحكاية الخرافية: نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها".⁽¹⁾

تقول نبيلة إبراهيم عن الباحث فريد ريش فون درلاين أن "الشيء الذي دفع الكاتب إلى هذا التخصص العميق، ما اكتشفه في الحكاية الخرافية في كنوز ثمينة، لا من الناحية الفنية فحسب بل من ناحية الشعوب وتصوراتها ومعتقداتها... وقد انتهى الكاتب إلى أن الحكاية الخرافية البدائية تكونت في الأصل من أخبار مفردة نبعت من حياة الشعوب البدائية ومن تصوراتهم ومعتقداتهم، ثم تطورت هذه الأخبار واتخذت شكلا فنيا على يد القاص الشعبي، وأصبحت لها قواعد وأصول محددة درسها الكاتب دراسة وافية"⁽²⁾.

والحكاية الخرافية عند فلاديمير بروب هي ذلك النوع الذي يسميه ب: "الخرافات العجيبة" وذلك حسب الترجمة العربية لإبراهيم الخطيب، وهي عنده الخرافات بالشكل الدقيق للكلمة، إذا استثنى منها خرافات العادات وخرافات الحيوان، وهي ذلك النوع الذي نجد فيه دراسة الأشكال وإقامة القوانين التي تسير البنية ممكنة، بنفس دقة مورفولوجيا التشكلات العضوية"⁽³⁾.

فالحكاية الخرافية قصة كاذبة ينتجها العقل البشري بربط شخصيات مستمدة من الواقع ويضيف إليها شيء من الخيال ذات طابع سحري ليصور شخصيات خارقة لها القدرة على تحقيق كل ما هو صعب وثقيل عليه في عالمه الواقعي، فالخرافة "هي القصة الكاذبة التي لا يقبلها العقل وليشمل أيضا ذلك التشويه الخيالي لشخصية حقيقية ماثلة في أذهان الناس،

¹ عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، د ط، الجزائر، 2007، ص139.

² نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، المرجع السابق، ص79.

³ ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين المتحدنين، الرباط المغرب، ط1، 1986، ص17.

ونستطيع أن نقول أن الحكاية الشعبية في الواقع تخرج بين الواقع الحقيقي والخيالي ويكون بطلها إنسانا، وترتبط عادة بالسحر والخيال⁽¹⁾.

يرى فلاديمير بروب في كتابه مورفولوجيا الخرافة المترجم بـ "القصة الخرافية" أن القصة الخرافية رواية مبنية حسب التسلسل المنتظم على الوظائف التي ذكرها بروب مع غياب بعضها في حكاية وتكرار بعضها في حكاية أخرى، والقصة العجيبة يتم فيها استعمال الخيال بكثرة وكذلك في الحديث عن الجنّ وعن مخلوقات خارقة وخيالية وعن السحرة، وإذا ما حددنا القصة العجيبة من وجهة نظر تاريخية، كانت جذيرة بتسميتها القديمة والمستبعدة حاليا، وهي القصص الأسطورية⁽²⁾.

تقول نبيلة إبراهيم: "يمكننا أن نقول في بادئ الأمر أن الحكاية الخرافية تصور الأمور كما يجب أن تكون عليه في حياتنا... كما يرى أندريه يولس ... أما الحكاية الخرافية فتجيب على السؤال: كيف يجب أن تكون عليه الأمور في الحياة؟ ... فعالم الحكاية الخرافية يقف وجهها إلى وجه أمام عالمنا الواقعي، والحكاية الخرافية ترفض عالمنا لأنها تحل محله عالما أجمل وأكثر منه بهاءً وسحراً⁽³⁾".

وتقول أيضا على وظيفة الحكاية الخرافية: "لقد سبق أن ذكرنا رأي الكاتب أندري يولس في ذلك وهو أن الحكاية الخرافية تحقق للإنسان الشعبي حياة العدالة والحب التي يحلم بها، ويضيف الكاتب ماكس لوتي إلى ذلك أن الحكاية الخرافية رغم تحررها من الإحساسات الكهنوتية، ورغم تحررها من الحوادث والتجارب الفردية، فإنها تقدم بوسائلها الخاصة جوابا شافيا عن السؤال الذي يدور بخلد الشعب عن مصيره، وكأن ما تريد أن تقول له، هكذا يجب أن تعيش خفيفا متفائلا متحركا مغامر، مؤمنا بالقوى السحرية في عالم الغموض الذي

¹ - توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، المرجع السابق، ص 14.

² - ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة د عبد الكريم حسن ود سميرة بن حمّو، شارع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ط1، 1996، ص 121.

³ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 61.

تعيّشه. ذلك لأن الحكاية الخرافية تحوّل كل ما هو ثقيل في عالم الواقع، وكل ما هو غير مرئي إلى أشكال حقيقية مرئية، مناسبة في دائرة الوجود عن طريق التلاعب الحر.⁽¹⁾

ومن هنا يمكننا أن نقول أنّ الحكاية الخرافية هي من الآداب الأكثر تعبيراً عن الرغبة الإنسانية في تجسيد عالمه الداخلي الذي يحلم به وتغيير عالمه كله.

يطلق على الحكاية الشعبية الخرافية في منطقة القبائل غالباً "تماشهوتس" وأحياناً "تمعيث" و"تحجيتس"؛ وتعرفها الراويات الحافظات أحداثها والمدركات لها أنها تاريخ الأولين... ويحتفظ هذا النوع من الحكايات بكثير من طبائع المقدس. فهي من حيث الزمن لا تروى إلا ليلاً، وبصفة أخص ليالي الشتاء الطوال. ومن حيث المكان ترتبط بالموقد، فلا تروى إلا إذا اجتمعت أسرة أو أكثر في حلقة حول النار التماساً للدفيء وإنصاتاً لأحداث الحكايات العجيبة⁽²⁾. ولها بدايتها الافتتاحية كغيرها من الحكايات العربية، فيقول الراوي للحكاية "ماشهو" ويرد عليه المروي له (المستمعين) ب: "آهو" ليكمل الراوي كلامه "أنحل ربي أتسيسلهو أتسيسيوض أنشت أسارو" ويبدأ في رواية الحكاية، وتختلف هذه الافتتاحية من منطقة إلى أخرى وذلك لاختلاف اللهجات، ولكن غالباً ما يكون المضمون نفسه، وكما لها أيضاً نهاية ختامية "تمشاهوتسيو ألواد ألواد، أشنيغتسيد أوراو أنلجواد، أشانن أهنيخذع ربي، نكني أذغ يعفو ربي".⁽³⁾

ومن أهم الخصائص الشكلية للحكاية الخرافية، العالم السحري المجهول الناتج عن غريزة الإنسان الفطرية وميله إلى خلق عالم أجمل لنفسه وأفضل من عالمه الواقعي، فلهذا نجد السحر في الحكايات الخرافية ليس التأكيد على بطولة البطل بقدر ما هو السمو بالبطل الذي ألغاه عالمنا الواقعي، والدليل على ذلك أن الشخصيات لا يمكن أن تعيش إلا في عالمها الحكائي الخرافي فهي انعكاس فقط لفطرة الإنسان فنجد أن الحكاية الخرافية تتألف

¹ - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 65.

² - زهية طراحة، بنية الخطاب الأدبي الشعبي، دراسة إناسية، مجلة الخطاب، العدد الأول، 2003، ص 198.

³ - ذهيبية حمادن، قرية ورياشة بلدية ودائرة الناصرية، ولاية بومرداس، في 20 مارس 2019.

من أحداث جزئية في النهاية تكون حدثاً كلياً، فهذه الأحداث لا يمكن أن تتجسد في العالم الواقعي لا لأنها ذات طابع عجيب وإنما لا يمكن أن تعيش إلا في العالم الخرافي، ولكن هذا لا ينفي أن الحكاية الخرافية منفصلة تماماً عن الواقع فهي تهدف إلى تصوير النماذج الواقعية وعلاقة الإنسان بما حوله كعلاقة الإنسان بالإنسان، والإنسان بالحيوان، المعلوم منه والمجهول.

إن العالم المجهول لا أثر له في حياتنا اليومية ولا في سلوكنا النفسي، والاتصال بهذا العالم الخفي يولد فينا تأملاً خاصاً، فهو يجذبنا إليه ويردنا عنه مرة أخرى، فالإنسان يشعر بعلاقة قوية بينه وبين هذا العالم، فهو يثير خوفنا وشوقنا إليه في نفس الوقت.⁽¹⁾

2- الأسطورة

اختلف المؤرخون في تحديد مفهوم الأسطورة والفصل بينها وبين الحكايات الأخرى، من بينها الحكاية الخرافية، الملحمة والحكاية الشعبية، وذلك لاشتراكها في الأحداث والشخصيات الخارقة والعجيبة، إلى أن الأسطورة تتميز على غيرها ببعض السمات التي سنتعرف إليها لاحقاً من خلال عرض بعض تعريفات الباحثين والدارسين لها.

يقول "مرسيا إلياد" الأسطورة تروي قصة مقدسة وحدثاً وقع في زمن البدء، ... إن الأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة وتوق أخلاقي وانضباطات وتحديات تظهر في صيغة اجتماعية ومتطلبات علمية، وفي الحضارات القديمة البدائية تلعب الأساطير دوراً ضرورياً إذ أنها تعبر عن المعتقدات، إنها تشريع حقيقي للديانة البدائية وللحكمة العملية كما يقول مالمينوفسكي.⁽²⁾

فالإنسان البدائي نسج الأساطير بخياله وفطرته، وذلك لحاجته لتفسير بعض الظواهر التي يراها خارقة واعترافه بضعفه أمامها، كما دفعه فضوله للبحث عن حقيقة وجوده وإيمانه

¹ - ينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 88، 89.

² - تأليف قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة، دار كيوان للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط 1، 2009، ص 23.

بوجود قوة ميتافيزيقية تحكم هذا الكون ويتدبر شؤونه، ومن هنا جاءت حقيقة وجود إله أو عدة آلهة، وهي في صراع فيما بينها لتثبت وجودها وقوتها، ومن هذا المنطق جاءت في الأساطير الأولى صراع الآلهة وعلاقتها بالإنسان والحيوان، كملحمة جلجامش التي نجد فيها إله الشمس وإله الأرض، فعندما اكتشف الإنسان الأول الشمس لم يستطع تفسيرها وعدم الوصول إلى حقيقتها جعله يعتبرها إلهًا له ويقوم بعبادتها، وعندما تغيب ويأتي الظلام فسرها على أن الظلام ظاهرة شريرة وتتصارع مع إله الشمس، وبهذه الطريقة تم تفسير مختلف الظواهر الأخرى، وهكذا بدأت الأساطير تتكون في مخيلة الإنسان القديم.

يقول مالمينوفسكي عن الأسطورة: " أنها ركن أساسي من أركان الحضارة الإنسانية، تنظم المعتقدات وتعززها، وتصون المبادئ الأخلاقية وتقومها، وتضمن فعالية الطقوس وتتطوي على قوانين عملية لحماية الإنسان".⁽¹⁾

وللأسطورة مكانة هامة فهي ليست تخريفات فقط خرجت من أفواه الشعوب البدائية، أو هي معتقدات يؤمنون بها لأنهم يجهلون حقيقتها، ولكن في حقيقة الأمر هي جذور متأصلة في عمق الحضارة ولا يمكن قطعها، لأن بذلك حكمنا على حضارتنا وتاريخنا، ومبادئنا، وهويتنا بالعدم والفناء، فكثيرا من الحضارات الحديثة استمدت تفكيرها ومبادئها من الأساطير القديمة.

تري نبيلة إبراهيم "أن الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهر متعددة، أو هي تفسير له إنها نتاج وليد الخيال، ولكونها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد، ومن هنا يمكننا القول بأن الأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضيفي على تجربته الحياتية طابعا فكريا وأن يطلع على حقائق الحياة العادية معنا فلسفيا".⁽²⁾

كما يرى "جيرالد لارسون" أن الأسطورة هي "حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوجة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو

¹ - تأليف قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، الأسطورة، المرجع السابق، ص23.

² - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، المرجع السابق، ص23-24.

الجماعة العرقية، تعرض تجاربها وعالمها فرديا أو جماعيا، كما أنها تفسر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقربين وأعمال الأبطال.⁽¹⁾

أما "راينس سميث" فيرى أن "الأسطورة ليست جزءا جوهريا من دين قديم، بل تستتبط العادات والتقاليد والشعائر الدينية وتأويلها".⁽²⁾

تبين لنا الأساطير كيف كان الإنسان البدائي يرى الكون، وكيف كانت علاقته بالطبيعة والحيوان، وكذلك خوضه في أسرار الغيب، كما تبين لنا كيفية تطور الفكر الإنساني عبر العصور، و تحمل أيضا في كنهها أفكارا وعبرا بالإضافة للمتعة التي تقدمها للقارئ؛ فهناك من الحضارات الحديثة من استمدت تفكيرها ومبادئها من هذه الأساطير الغنية في محتواها، "وتعددت أنواع الأساطير بتعدد المواضيع التي تعالجها، فمنها الأسطورة الكونية (الطقوسية) مثل أسطورة أوزوريس وإيزيس المصرية القديمة، والأسطورة التعليلية، الحضارية، الرمزية، وأسطورة البطل المؤله".⁽³⁾

يرى فراس السواح في كتاب (دين الإنسان) "أن الأسطورة واحدة من ثلاث مكونات أساسية لأي دين... والأسطورة هي ملخصة كما يلي:

1 الأسطورة شكل من أشكال الأدب الرفيع، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي.

2 الأسطورة قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهيا وكتابة.

3 الأسطورة لا تشير في جوهرها إلى زمن جرى فيه الحدث وانتهى، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى.

4 الأسطورة ذات موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر...إلخ.

5 الأسطورة يكون محورها الآلهة وأنصاف الآلهة، فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان دوره مكملا لا رئيسيا.

¹- قيس الثوري، الأساطير وعلم الأجناس، جامع الموصل، العراق، (د ط)، 1981، ص18.

²- محمد عبد المفيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، الدار الحديثة للطباعة، بيروت، د ط، 1981، ص18.

³- ينظر، نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ط3، ص23.

- 6 الأسطورة لا مؤلف لها لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه، بل هي ظاهرة جمعية، وقد يعيد الأفراد صياغتها وفق صنعة أدبية.
- 7 الأسطورة تتمتع بقدسية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في عصرها.
- 8 الأسطورة مربوطة بنظام ديني معين فإذا انهار هذا النظام تحولت إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة.⁽¹⁾
- الفرق بين الأسطورة والحكاية الخرافية:

أما عن الفرق بين الأسطورة والحكاية الخرافية فيرى خزعل الماجدي أن الفرق بينهما هو "أن الخرافة تعتمد على أبطال رئيسيين من البشر أو الجنّ في حين أن أبطال الأسطورة هم الآلهة أو أنصاف الآلهة، أما البشر فيظهرون فيها بشكل عرضي... كما أن الخرافة تكون دائما مثقلة بالخوارق والمبالغات في حين تعبر أن الأسطورة تعبر في تساوق عميق في حركة الآلهة والطبيعة ومسرى الأحداث وتكتسب الأسطورة موقعا دينيا مقدسا، في حين لا ترقى الخرافة إلى هذا الموقع إذ هي حكاية خيالية لا تمتلك علاقة عضوية مع الدين."⁽²⁾

3-حكاية الحيوان

احتل الحيوان مكانة هامة في التراث الشعبي القديم، فنجد مجسدا في الكثير من النصوص الأدبية، كالأمثال، الحكايات، والأساطير وغيرها من الأجناس الأخرى، وذلك لاعتباره وسيطا لنقل الأفكار والمواقف الإنسانية، فقد وظفت الذاكرة الشعبية هذا الجنس في نسج حكاياتها الخرافية وتفرغ تجربتها الحياتية ومواقفها ومشاعرها التي تراكت من خلال صراع الإنسان مع الطبيعة، فعلاقة الإنسان بالحيوان عرفت منذ الأزل وهي في احتكاك دائم ومستمر حتى أصبحت له مكانة في حياة الإنسان وذلك حسب نوع الحيوان وماهيته، لذلك

¹ - خزعل الماجدي، بخور الآلهة، نقلا عن فراس السواح، (دين الإنسان)، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن\ عمان، ط1، 1998، ص57، 58.

² - المرجع نفسه، ص59، 60.

نجد شخص الحيوان في حكاياته وأعطى له مكانه في تمثيله وإبلاغ رسالته بطريقة مشوقة، خاصة إذا كانت الحكاية موجهة إلى الطفل، ومعظم هذه الحكايات هي كذلك.

تعد حكاية الحيوان من "أقدم الحكايات الشعبية على الإطلاق وهي تدور حول الحيوان وتتردد على ألسنة الناس جميعاً، إنها موجودة في بيئة عند كل أمة وبين مختلف الأجيال والطبقات وقد احتلت مكاناً بارزاً بين أشكال القصص في الأدب الرفيع".⁽¹⁾

يذهب المؤرخون على أن "جنس القصة على لسان الحيوان كان موجوداً منذ القرون القديمة، فقد وجد عند الهنود حكايات قديمة كانت ترتبط بصور الحيوانات والطيور كحكايات كتاب "جاتاكا"، وأيضاً وجدت مثل هذه الحكايات عند اليونان في حكايات "أيسويس" في القرن السادس قبل الميلاد، كما وجدت أيضاً في مصر القديمة بحيث يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مثل قصة "السبع والفأر" التي وجدت على ورق بردي. لدينا حكايات شعبية كثيرة على لسان الحيوان في الأدب العربي القديم منها قصة الحمامة والغراب في سفينة نوح، وقد كان الأدب الفارسي القديم هو الوسيط بين الأدبين الهندي والعربي فيما يخص هذا الجنس الأدبي".⁽²⁾

بدأ ظهور هذا الجنس من الأدب في الأدب الغربي على يد "أيسوب" في الأدب اليوناني حيث اعتبر الحكيم المبدع والملهم الأول لـ "لافونتين" الذي يلقب بالفيلسوف الأول في نظم الخرافات وقد ألف حكاياته نثراً، واكتسب شهرة في الأوساط الشعبية ويقال أن سقراط من المعجبين بخرافات، حتى اشتغل جاهداً على وضعها في قالب شعري في أواخر أيامه في السجن".⁽³⁾

"اتخذ "لافونتين" موضوع الكتابة وسيلة للنقد الاجتماعي من خلال الموازنة بين نماذج الحيوان وبعض النماذج البشرية وقد تأثر كثيراً بـ "كليلة ودمنة" وأخذ منها متابعة الفكرة

¹- عبد الرزاق جعفر، الحكاية الساحرة، دراسة في أدب الأطفال، منشورات اتحاد العرب، (د، ط، ت)، ص 51.

²- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط 9، 1983، ص 183، 184.

³- علي درويش، دراسات في الأدب الفرنسي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1983، ص 88.

والموضوع نفسه وهو الحكمة على لسان الحيوان، كما يعترف "لافونتين" نفسه في مقدمة بعض كتبه.⁽¹⁾

فقد اتفق الباحثون المعاصرون على أن أول ظهور لمثل هذه الحكايات كان عند قدماء اليونان والهنود، أما بالنسبة للعرب فقد ظهرت بظهور كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه عبد الله بن المقفع عن الفارسية، وتعتبر حكايات الحيوان أكثر روحاً من الحكايات الأخرى.⁽²⁾ فالحيوان في الحكاية مثله مثل الإنسان العادي، يتكلم ويفكر، يحس ويقرر فهو بذلك يعيش حياة الإنسان فـ"للحيوان روح شبيهة بالإنسان"⁽³⁾، وقد يعود ذلك إلى العلاقة التي تربط بينه وبين الإنسان، فالإنسان البدائي كان يعيش مع الحيوانات جنباً إلى جنب، فهو يشاركها مسكنه ويعتني بها، كما تعتبر مصدر رزقه وطعامه. فهو من خلال تلك العلاقة جسد الحيوان في الحكاية على أنه على دراية بكل ما يفعله الإنسان في حياته الواقعية.

فقصص الحيوان في نظر رياض مقدادي "تعد من الحكايات الشعبية التي تردت على ألسنة الكثير أو عند جميع شعوب العالم من القديم إلى عصرنا الحاضر، ولقد كانت محل اهتمام الكبار والصغار."⁽⁴⁾

لذلك حضي هذا النوع من الحكايات باهتمام معظم شعوب العالم، وذلك لما له من أهمية في تنمية العقل البشري، بحيث تساهم في تنمية شخصية الطفل وتوسيع دائرة الخيال لديه، وتعمل على غرس القيم الأخلاقية فيه، وتعليمه كيفية تحمل المسؤولية منذ الصغر.

4- السيرة الشعبية

إن السيرة الشعبية العربية نشأت في ظروف صعبة وعاشت حياة أكثر صعوبة لارتباطها بحياة الناس وتاريخهم وحضارتهم، وامتداداتهم الاجتماعية والثقافية، لذلك نجد أن

¹- محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، ص188.

²- ينظر: عبد الفتاح أبو المعال، أدب الكفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1998، ص51.

³- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986، ص124.

⁴- رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2012، ص34.

السيرة تتطلق من شخصية بطل نافذ في وجدان المجتمع العربي بأخلاقه النبيلة وفروسيته وبطولته، وغيرها من المزايا والصفات التي تحرص السيدة على نقلها وغرسها في نفوس المتلقين وثباتها في ذاكرة الأجيال الصاعدة.

يقول سمير السبخاني أن السيرة الشعبية سميت "تميزا لها عن السيرة النبوية وسيرة الأشخاص والأبطال فالسيرة الشعبية هي مجموعة من الأعمال الروائية الطويلة ذات سمات فنية متشابهة وذات أهداف فنية متماثلة".⁽¹⁾

ونلاحظ عدم دقة هذا التعريف، ذلك أن السيرة الشعبية تنتمي إلى المرويات العامة مما افضى إلى عدم العناية بها جمعا وتنظيرا وتحليلا مما جعل مفهوم السيرة يظل رهين الانطباعات خاصة عندما عولج التراث العربي بالمناهج الغربية الحديثة، وأصبحت السيرة رواية وملحمة وقصة ومسرحية وحكاية شعبية طويلة ذات حلقات، فكل باحث أو دارس يستخدم مصطلحات خاصة به.⁽²⁾

تعد السيرة الشعبية تاريخية في المقام الأول تعتمد على التاريخ لتستخلص مادته منها، سواء من تاريخ اليمن كسيرة "الزير سالم" أو "الملك سيف بن ذي يزن"، أو تاريخ الأدب الجاهلي كسيرة "عنتر بن شداد العبسي" أو تاريخ القبائل العربية كسيرة "بني هلال"، أو تاريخ مصر في عهد الممالك "كعلي الزبيق" و"الظاهر ببرس" والسيرة الشعبية تحرص على الهدف التاريخي، ولا تتحول عنه حتى نهاية السيرة وأبطالها يتحولون إلى أبطال قوميين أو بمعنى أدق نماذج بطولية.⁽³⁾

لم تحظ سيرنا الشعبية باهتمام بالغ من طرف شعرائنا المعاصرين، إذا ما قيس بشعراء هذه السير، وامتلائها بالأبطال والشخصيات الفنية، والأبعاد النفسية والاجتماعية، التي تصلح لعمل أدق لخلجات الشاعر المعاصر، ويشتمل تراثنا الفلكلوري على مجموعة كبيرة

¹-سمير السبخاني، معجم الكلمات الجامعة، أقوال مأثورة وحكم، دار الجبل، بيروت، ط1، 2002، ص208.

²- ينظر: شوقي عبد الحكيم، سيرة ابن هلال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة المشهرة برقم 7762 ب، 2012، ص67.

³-حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، د ت، ص53.

من السير لها أصولها التاريخية، ومعظم أبطالها شخصيات تاريخية واقعية، ولكن القصص الشعبي أضفى عليهم ملامح ملحمة، جعلت منهم أبطالاً أسطوريين يتصل بعضهم بالجن، ويؤاخيهم، كما في سيرة "سيف بن ذي يزن"، وكذا السيرة الهلالية التي تدور حول قبيلة بأكملها وهي قبيلة بني هلال، وتقع أحداثها بين المشرق والمغرب العربي حيث ارتحلت هلال إلى تونس.⁽¹⁾

فالسيرة الشعبية لم تكن حبيسة الواقع فقط، بل هجرت عالم الحقيقة، فتعلقت بالخيال، فأصبحت شكلاً من أشكال القصص البطولية التي تنتجها نحو تصوير الإنسان المثالي.

خصائص السيرة الشعبية

1. وجود المضمون الاجتماعي العام وراء كل عمل على حدّ، بمعنى أن دور سيرة من هذه السير إنما كتبت للدفاع عن قضية هامة من القضايا العادلة للشعب العربي في ظرف من ظروف حياته.

2. وجود المضمون الفني أو القضية الإنسانية لعامة وراء كل موضوع.⁽²⁾

3. ترابط العمل من صفحته الأولى حتى صفحته الأخيرة.

4. وضوح الشخصيات الرئيسة والفرعية بحيث تمثل كل منها موقفاً إنسانياً محدداً أو بحيث يخدم هذا التحديد العمل من ناحية الموضوع ومن ناحية المضمون.

¹- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1997، ص 166، 167.

²- فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، مطبعة العلم، القاهرة، 1964، ص 19.

المبحث الثالث: المقاربة الأنثروبولوجية

الأنثروبولوجيا هو علم يختص في دراسة الإنسان في مختلف مراحل الحياة، فقد تعددت مفاهيم هذا العلم حسب مراحل تطوره، بحيث تعتبر الأنثروبولوجيا (الإناسة) المرحلة الثالثة من الدراسة، وذلك بعد علم الإثنوغرافيا (الناسوت) وعلم الإثنولوجيا (النياسة) اللذان يمثلان المرحلة الأولى والثانية لتطور هذا العلم قبل علم الأنثروبولوجيا الذي يستند في دراساته على ما توصل اليه علم الإثنوغرافيا والإثنولوجيا.

1- مفهوم الأنثروبولوجيا

إن لفظة أنثروبولوجيا Anthropology هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين، "انثروبوس" (Anthropos) ومعناه "الإنسان" و"لوجوس" (Locos) ومعناه "العلم"، لذلك يصبح علم الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ علم الإنسان أي العلم الذي يدرس الإنسان... ولذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حين يعيش في مجتمع نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا.⁽¹⁾

فالإناسة بمعناها الأشمل الذي يعتمد على ستراوس وتلاميذه إذ يعتبرون هذا الفرع المعرفي بمثابة المرحلة الأخيرة من النهج السياسي التي تأتي بعد الناسوت، باعتباره بداية التوليف التفسيري.⁽²⁾

فعلم الأنثروبولوجيا (الإناسة) هو علم يختص في دراسة الإنسان، بمعنى أن مجال بحثه هو الإنسان كمخلوق حيواني يمتاز عن غيره بصنعه للثقافة والإبداع فيها، وهذا لا يعني أنها تهتم بالإنسان في معزل عن غيره أو ما يحيط به، بل يهتم بانشغالاته وسلوكياته

¹- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2004، ص12.

²- جاك لومبارد، المدخل إلى الإثنولوجيا ترجمة حسين قبسي، الناشر المركز الثقافي للعرب، بيروت، ط1، 1997، ص16.

وأعماله، وعلاقاته طبيعياً واجتماعياً وحضارياً، كما أنه يدرس الحياة البدائية للإنسان وكذلك حياته الحديثة المعاصرة، ومحاولة التنبؤ بمستقبله، وذلك اعتماداً على تاريخ تطوره.

وعلى هذا يرى تايلور "أن الأنثروبولوجيا هي دراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية، وبهذا المعنى تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التي تتعلق بالإنسان.⁽¹⁾

وقد قسم الدارسون علم الأنثروبولوجيا إلى عدة فروع، وذلك من أجل تحقيق المنهجية التطبيقية من جهة والشمولية البحثية التكاملية من جهة أخرى، فقد استند بعض الباحثين في تصنيفهم لهذه الفروع إلى طبيعة الدراسة ومنطلقاتها، بينما استند البعض الآخر إلى أهدافها.

2- فروع الأنثروبولوجيا

ومن أبرز الفروع أو التقسيمات التي اتفق عليها الأنثروبولوجيين ما يلي:

2-1- الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية)

تعرف بوجه عام بأنها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيرات التي تطرأ عليها بفعل الموروثات، كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كل منها، وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا العضوية تتركز حول دراسة (الإنسان / الفرد) بوصفه نتاجاً لعملية عضوية ومن ثم دراسة التجمعات (البشرية/السكانية) وتحليل خصائصها.

وتهتم هذه الدراسة بمجالات ثلاثة هي:

- المجال الأول: ويشمل إعادة بناء التاريخ التطويري للنوع الإنساني، ووصف (تفسير) التغيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني، عن السلسلة التي كان يشترك بها مع صنف الحيوانات الرئيسية.

¹- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص 13.

- المجال الثاني: يهتم بوصف (تفسير) التغيرات البيولوجية عند الأحياء من الجنس الإنساني، وتمتد هذه الأبحاث لتشمل العلاقة الكامنة بين التركيب البيولوجي من جهة والثقافة والسلوك من جهة أخرى.
 - المجال الثالث: وهو تخصص هام في علم الأنثروبولوجيا العضوية، ويبحث في الرئيسيات: علاقاتها مع بيئاتها، تطورها، سلوكها الجماعي.⁽¹⁾
 - الانثروبولوجيا الاجتماعية:
- يدرس هذا النوع الإنسان في وجوده الاجتماعي ونظام ذلك من السلوك والعلاقات، ويصف ويحلل ما يبني المجتمع على مستوى الأفراد وكذلك على مستوى المؤسسات، كما يهتم بتطور المجتمعات عبر سيرورتها التاريخية، ويقارن المجتمعات ببعضها بعض، والهدف من ذلك الوصول إلى تجريد قوانين وأنماط السلوك والنظام الاجتماعي، وجدير بالذكر ان "مصطلح اثولوجيا" يعني في بدايات استخدامه هذا الفرع، سيما لدى الإنجليز، والذين يعتبرون الانثروبولوجيا الاجتماعية هي العلم الجامع والشامل وباقي الفروع مشتقة منها أو مندرجة ضمنها، على عكس الأمريكيين الذي يرون بأنها فرع من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية cultural anthropology، وجدير بالذكر ان الأنثروبولوجيا الاجتماعية اقتصرت في مرحلة "الاثولوجيا" (القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر) على دراسة المجتمعات البدائية، وذلك حين كان المجتمع الأوربي وهو مجال علم الاجتماع Sociology ولكن الأمر عرف مراجعات جعلت هذا الوضع منقودا، بالشكل الذي سقط معه مفهوم المتوحش (البدائي)، واصبح المجتمع الحديث من اهتمامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وقد كان ذلك نتيجة تجديرات مفهومية عرفها الدرس الأنثروبولوجي فكرا وممارسة⁽²⁾.

¹- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص66.

²- مصطفى شاكر سليم، قاموس الانثروبوجيا (انجليزي-عربي)، ط1، 1981، ص893.

2-2- الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم الأناسة الثقافي (*l'anthropologie*

(*culturelle*

هو ذلك الفرع الرئيس من الأنثروبولوجيا الذي يضطلع بدراسة مختلف ثقافات الإنسان، فالإنسان على حد قول (مالينوفسكي) B. Malinovski في مقال له عن الثقافة Culture، هو كائن له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية، وهذا التراث أو تلك الثقافة هو المجال الرئيس في الأنثروبولوجيا الثقافية.⁽¹⁾

والإنسان كائن ثقافي، حامل للثقافة يعيش في كنفها... تحافظ عليه ويحافظ عليها، كما أنه ناقل لها عبر الأجيال المختلفة ونظرا لأن هذا الفرع يهتم بالثقافة والسلوك الإنساني، فهو يهتم بماضي الإنسان وحاضره.⁽²⁾

ولما كانت ثقافة الإنسان هي التي تمكنه من الاتصال بالآخرين، سواء جماعته المحلية أو الجماعات الأخرى المحيطة بما لها من خصائص اجتماعية في بيئاتها المتباينة، كان أحد أهداف الأنثروبولوجيا الثقافية، هو دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي وأصولها ونموها وتطورها.⁽³⁾

3- أهداف الدراسة الأنثروبولوجيا

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، فإن دراستها تحقق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها، من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.

¹- محمد إسماعيل قباري، أسس علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1980، ص 18-19.

²- أحمد مصطفى فاروق، المقدمة في الأنثروبولوجيا ضمن علم الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 15-16.

³- إسماعيل فاروق، علم الإنسان الأنثروبولوجيا، مطبعة الجمهورية، الإسكندرية، 1994، ص 25.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية... وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغير المحتمل، في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصوير بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة (1).

4- بعض النظريات الأنثروبولوجية

4-1- نظرية الاتصال الثقافي (الثقافة، المثاقفة)

يقول عيسى الشماس "أنّ الثقافة يشمل الظواهر التي تتجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة، مع ما تجره هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية، لدى إحدى المجموعتين أو كليهما"². ويعني هذا أنّ الثقافة /المثاقفة هو تأثر الشعوب ببعضها على بعض، نتيجة احتكاك الشعوب واتصالها ببعضها.

4-2- النظرية الماركسية

تتطلق الماركسية من طريقة الحصول على العيش في كل مجتمع، باعتبارها أساس بنيته، وذلك من خلال إقامة الصلة، بين هذه الطريقة وبين العلاقات التي يدخل فيها الناس ضمن عملية الإنتاج، فالعلاقات الإنتاجية إذن تشكل الأساس الرئيس والقاعدة الحقيقية لكل مجتمع"³.

¹- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص15.

²- المرجع نفسه، ص 148.

³- المرجع نفسه، ص156.

تتظر الماركسية إلى الإنسان "على أنه موجود اجتماعي. ويعتبر من وجهة النظر البيولوجية، أعلى مرحلة في مراحل تطور الحيوانات على الأرض وبينما يكيف الحيوان نفسه مع الطبيعة، فإن الإنسان يكيف نفسه من خلال ما يقوم به من نشاط إنتاجي. والإنسان أيضا لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الناس الآخرين وبالتالي فهو منصهر في ظروف اجتماعية محددة."⁽¹⁾

يرى ماكس أن الإنسان في حقيقته هو نتاج العلاقات الاجتماعية التي يعيش في إطارها، وأن جوهره ليس شيئا مجردا وكامنا في نفس كل فرد.

4-3- النظرية المعرفية

تبحث النظرية المعرفية في طرائق تفكير الناس وأساليب إدراكهم للأشياء، والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والإدراك. ومن ثم الوسائل التي يصلون بواسطتها إلى كل منهما .. فهم أصحاب المجتمع، ومن العدل أن نتعرف إلى آراءهم فيها... كما جاءت النظرية المعرفية ردًا على الماركسية."⁽²⁾

4-4- النظرية التطورية

هي أول تيار فكري في تاريخ النياسة ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وموضوع بحثها الأساسي هو تفسير المراحل التي مرت بها البشرية تاريخيا، واكتشاف القوانين التي أتاحت لها الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

التطورية كمنهج: يستعين التطوري بالتاريخ بوجه خاص ويعتمد عليه، وهو تاريخ افتراضي أو تخميني، لا يملك مستندات أو وثائق مكتوبة يعتمد عليها، فالباحث التطوري يستند إلى افتراضات أو اقتراحات لتفسير نشأة شعب جديد."⁽³⁾

¹- عيسى الشماس، المرجع السابق، ص 156.

²- المرجع نفسه، ص 158.

³- ينظر: جاك لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المرجع السابق، ص 64.

آلت النظرية التطورية إلى الاعتقاد بوجود مسيرة خطية واحدة للمجتمعات عبر الزمن، وأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون أن تواجه شكل آخر من التطور، كما ظهرت في صفوفها اختلافات في وجهات النظر حول طبيعة هذا التطور فيرى البعض أنه كان تطوراً بطيئاً ومتدرجاً بينما يرى البعض الآخر أنه تطوراً تدخلت فيه مواقف ومظاهر كبرى.⁽¹⁾

رغم أن علم النياسة تفتقد إلى الدقة إلا أن مع ظهور مختلف العلماء الذين اهتموا بهذه الدراسة أخذت طابعا علميا فسعو بشكل خاص إلى مقارنة هذه الثقافات فيما بينها، واتخذوا من المجتمع الغربي مادة للدراسة لأنهم اعتبروه قمة التطور لاشتماله على أرفع الأشكال التي بلغتها مختلف المؤسسات من سياسة عائلية ودينية.⁽²⁾

ومن أبرز التطوريين البارزين في الدراسات التطورية نجد:

إدوارد تايلور (1832-1917):

رغم كون تايلور إنجليزيا وأول أستاذ في كرسي الإناسة في أكسفورد إلا أن تأثيره في الولايات المتحدة أكبر مما كان عليه بريطانيا الكبرى، وذلك نظرا للموقع الذي أفسحه في كتاباته لمقولة "الثقافة" وهي مقولة شديدة الأهمية. فقد كشفت له خبرته الميدانية في المكسيك عن أهمية الاحتكاك الثقافي ومحاكات الشعوب ببعضها البعض، مما جعله يعتقد بإمكانية التطور قد تم على مساهمات خارجية وكان متشبثا بمفهوم "الرواسب" التي حددها بأنها الممارسات والأراء التي استمرت على قيد الوجود بفعل العادة، ضمن وضع جديد من أوضاع المجتمع مختلف عن ذاك الذي قد نشأت فيه.

رغم اهتمام تايلور بعدة جوانب الحياة المجتمعية فضلا عن اهتمامه بالسلايم القرابية فإن ما اشتهر به اهتمامه بالنياسة الدينية خاصة مع نظرياته الاحيائية التي كانت نقطة الانطلاق بالنسبة لتطور المعتقدات الدينية، فانصرف في بداية الأمر للقيام بأبحاث حول

¹ - ينظر: جاك لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا، المرجع السابق، ص 66.

² - ينظر: المرجع نفسه ص 67.

الأساطير فكرس لها عدة فصول في كتابه الأول (بدايات التاريخ البشري والنمو الحضاري) فتوسع بذلك لتشتمل على الظاهرة الدينية بشكل عام.⁽¹⁾

جيمس فرايزر (1854-1941):

نشر فرايزر عدد كبير من الكتب أشهرها "التوطمية والزواج الخارجي" (1910)، و"الفولكلور في العهد القديم" (1918)، وخاصة كتابه الضخم "الغصن الذهبي" الذي بلغ اثني عشر مجلداً وصدر بين عامي (1890 و 1915) وهو كتاب وصفه مؤلفه بأنه جودة بفكر الانسان تتابع مراحل تطوره ابتداء من السحر والدين وصولاً إلى العلم، وضم في كتابه مجموعة هائلة من الوقائع التي استقاها من مجتمعات شديدة الاختلاف وعالج هذه الوقائع من زاوية المنهج المقارن، فتطرق تباعاً إلى موضوعات السحر والطقوس الزراعية، والاحيائية وعالج بشكل خاص أصول ظاهرة "كبش المحرقة"، وهي عبارة عن معتقد يمكن أصحابه من تحويل كل القوى الشريرة وكافة المعاصي التي ارتكبتها الطائفة الواحدة وتحميل وزرها لفرد واحد يفدي الطائفة بموته المصطنع، كما أشار إلى شخص الملك يرتدي في الأصل طابعاً مقدساً وذلك عبر دراسته للملك الإلهي وأراد بهذا التفكير لأن الملك في الأصل رجل دين بالدرجة الأولى، إلى غير ذلك من الظواهر المختلفة التي عالجها كالظاهرة السحرية والدينية...⁽²⁾

وسنستعين بهذه النظرية في تحليلنا لظاهرة التحول في الحكايات الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة لأن فرايزر اشتغل على الأساطير والحكايات الخرافية للبحث عن رواسب المعتقدات الدينية القديمة كالسحر والدين... إلخ.

¹ - ينظر: جاك لومبارد، المرجع السابق، ص 74.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 78.

الفصل الثاني:

التحوّل في الحكاية الشعبية

مقاربة أنثروبولوجية

المبحث الأول: تقديم مدونة الحكايات

المبحث الثاني: التحوّل في الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة

المبحث الثالث: التحوّل في الحكاية الشعبية دراسة مقارنة

المبحث الأول: تقديم مدونة الحكايات

1-مدونة الحكايات القبائلية المجموعة من الميدان

ملخص حكاية بقرة اليتامى:⁽¹⁾

تروي الحكاية قصة رجل توفيت زوجته وتركت معه ولدين (بنت وولد)، فتزوج من امرأة أخرى وكذلك رزقت بولدين، وكانت هذه المرأة لا تحب أولاد زوجها ولا تعتني بهما ولا تطعمهما. كانت لديهم بقرة، فكان الولدان يرضعان منها الحليب، ولما رأت زوجة أبيهم ذلك بعثت ابنتها عائشة لترضع الحليب من البقرة مثل أخويها فضربت البقرة وفقأت عينها، فغضبت أمها وأمرت زوجها أن يبيع البقرة. اخذ الرجل البقرة إلى السوق ليبيعها -وهو لا يرغب في ذلك- فكان يقول: من يشتري بقرة اليتامى لن يربح ولن يطل عليه فلم يقترب أي أحد من تلك البقرة، وعاد ولم يبع البقرة وفي اليوم التالي تبعته زوجته متكررة في زي رجل وسمعت ما كان يقول ثم اقتربت منه وصارت تقول: من يشتري بقرة اليتامى سيربح عليها، إلى أن باعها. كان الولدان يبكيان عند قبر أمها كلما جاعا فبقدره الله تعالى نبتت نخلة في قبر أمهما وكانا يأكلان منها التمر، ولما رأت زوجة أبيهم حالهم طلبت من ابنتها أن تتبعهما أينما ذهبا وأخبرتها بأمر النخلة ثم طلبت منها أن تأكل معهم من النخلة، فكانت عائشة كلما حاولت أن تقترب من النخلة لتأكل منها التمر تعلق النخلة أو تختفي كي لا تأكل منها فأخبرت أمها بالأمر فقامت هذه الأخيرة بقطع تلك النخلة. كان الولدان كلما جاعا يبكيان عند قبر أمهما، وبقدرة الله تعالى خرج ضرع من القبر وكانا يرضعان منه فراقبتهمما عائشة وذهبت معهما، وكلما اقتربت لترضع منه يختفي فأخبرت أمها بذلك، فقامت والدتها بوضع الإسمنت على القبر لكيلا يظهر الضرع مجددا. قامت الفتاة وأخذت أخاها وغادرت المكان بأكمله، لأن زوجة أبيهما لم تترك لهما أي وسيلة للعيش هناك. وصلا الولدان إلى الغابة ووجدوا نبع ماء فأراد الولد أن يشرب فلم تتركه أخته لأنه نبع للحيوانات، فتظاهر على أنه

¹ - ملخص الحكاية، روتها لنا السيدة: ذهبية حمادن، من مواليد 1936، يوم: 30 أكتوبر 2018، على الساعة 10:00.

صباحا، في قرية ورياشة بلدية الناصرية ولاية بومرداس.

يغسل يديه ثم شرب منه فتحوّل إلى تيس، أخذت الفتاة أخاها معها وأكملت طريقها إلى أن وصلت إلى إحدى القرى ثم دخلت إلى المسجد وبقيت هناك ولما رآها الناس صاروا يتكلمون عنها إلى أن بلغ الأمر للسلطان، فأمر بإحضارها إلى بيته وطلب منها أن تعيش عنده، فاشتريت عليه أن يبقى معها التيس أينما كانت أو ذهبت. ولما رأى ابن السلطان الفتاة أعجبه وطلب من أبيه أن يزوجه إياه فحدث ذلك، وعاشت مع ابن السلطان. تغير حال والدها إلى الأسوأ وصار يتوسل لكي يعيل عائلته، وذات يوم سمعت متسوّلاً يطلب وتحققت من الصوت فعرفت أنه والدها فأمرت الخدم أن يدخلوه. أكل والدها وشرب وملأت كيسه من القمح وبعض الأكل ووضعت فيه قطعة من الذهب ثم غادر عائداً إلى بيته. تعجبت زوجته مما أحضره معه، فقالت لن يعطي له هذا إلا أولاده، وفي اليوم التالي بعثت معه ابنتها عائشة وأوصتها بكل ما تفعل، ولما وصلا إلى القرية مر بجانب القصر سمعته جوهرة وأدخلته وأكرمته به هو وابنته وطلبت عائشة من والدها أن تبقى مع أختها وتعمل عندها، وكانت تشكو لأختها حتى رأفت عليها وتركها عندها. وبعد مرور عدة أيام جلست جوهرة أمام بئر في حديقة بيتها وإذا بأختها تدفعها لتسقط داخل البئر، وصارت هي مكانها ولما عاد ابن السلطان تعجب كيف تغير حالها، فسألها بشأن تغير لون بشرتها وقالت له أنّ ماءكم من فعل بي هذا وأما عن عينها المفقوءة فقالت بأن كحلهم من فعل بها ذلك فصدقها. وذات يوم مر شيخ القرية من جانب حديقة قصر السلطان وسمع التيس يتكلم إلى البئر وهناك صوت يرد عليه من عمق البئر، وبعد صلاة الفجر أخبر السلطان بالأمر. وفي اليوم التالي راقبوا ذلك التيس وسمعوه يشكو أمره لأخته ويقول لها بأنهم يهيئون السكاكين لذبحه ولما اقتربوا من البئر سمعوا صوتاً يخرج منه فحدثوها وردت عليهم، ثم قاموا بإنقاذها وأخبرتهم بكل ما حدث معها، كما أخبرتهم عن أخيها، وطلبت بذبح أختها عائشة وبعثتها إلى أمها، أما بشأن أخيها سألوها شيخاً حكيماً عن حاله وطلب منهم أن يأخذوه إلى نبع الأحرار ليستحم هناك ويعود إلى هيئته البشرية.

ملخص حكاية "منفية إختها السبعة"⁽¹⁾

تروي الحكاية قصة أم كان لديها سبعة ذكور وحامل بالثامن، وأخبرها أولادها بأنّها إذا أنجبت بنتا سيفرحون ويحتفلون بها، أما إذا أنجبت ولدا سيحزمون أمتعتهم ويرحلون، وسمعت زوجة عمهم ما قاله الأولاد. أنجبت الأم بنتا أثناء تواجد الأولاد في الحقل، فذهبت إليهم زوجة عمهم وقالت لهم بأن أمهم أنجبت ولدا، فهاجروا. كبرت الفتاة وأغضبت زوجة عمها فشتمتها بمنفية إختها السبعة، سألت الفتاة أمها عن أمر إختها وأخبرتها بما حدث، فقالت بأنها ستلتحق بإختها أينما كانوا. أمرت الفتاة أمها بأن تجهز لها ما تحتاجه من أكل وشرب خلال طريقها وطلبت من والدها حصانا وأن يحضر لها الحبة المنادية (أعق يساوالن) لتتواصل معه، وأرسلت أمها معها خادمة. انطلقت الفتاة هي والخادمة، وبعد أن قطعنا مسافة طويلة تعبت الخادمة من المشي وطلبت من سيدتها أن تتركها تركب قليلا فوق الحصان، فشكتها الفتاة لأبيها من خلال الحبة المنادية فخافت الخادمة وأكملت طريقها. وصلت الفتاتان إلى نبع فتوقفتا لتشربا وتغتسلا فسقطت الحبة المنادية للفتاة في النبع. غسلت الفتاة من منبع الخدم (السود) فتحوّل لون بشرتها من الأبيض إلى الأسود وأما الخادمة فغسلت من نبع الأحرار فتحوّل لون بشرتها من الأبيض إلى الأسود. ولما جاءت الفتاتان لتكملا الطريق ركبت الفتاة فوق الحصان وأنزلتها الخادمة وركبت هي مكانها لأنها لا تستطيع أن تشكوها لأبيها بعد أن ضيعت الحبة المنادية. أكملت الفتاتان طريقهما إلى أن رأتا صخرة كبيرة وقررتا المكوث فيها، بقيت الفتاتان عند الصخرة إلى أن نفذ منهما الأكل، وقفت الفتاة السيدة فوق الصخرة فرأت دخانا يخرج من الغابة وأخبرت الخادمة، فتوجهتا نحو المكان فوجدتا بأن الدخان يخرج من كوخ واقتربتا منه فرأتا شابا كان يطحن القمح وهو يكاد أن ينام فوق المطحنة. غفا الشاب ودخلت الفتتان إلى الكوخ وأكملتا ما كان يفعله الشاب وطهتا منه وأكلتا. اختبأت الفتاتان في الغرفة العلوية للكوخ ولما استيقظ الشاب من نومه لم

¹ - ملخص لحكاية "تمنيث مسبع واثنان"، روتها لنا السيدة: ذهبية حماد، المذكورة سابقا، يوم 17 نوفمبر 2018، على الساعة 11:20 د. في قرية ورياشة بلدية الناصرية ولاية بومرداس.

يجد الطحين فتعجب من الأمر ولم يخبر إخوته الستة عند عودتهم بذلك، في اليوم التالي جهز الإخوة الستة أنفسهم للخروج إلى الحقل وتركوا السابع منهم في الكوخ وهو غير الذي بقي في اليوم الأول. جهز الشاب الطحين ثم عاد إلى النوم، فنزلت الفتاتان من الغرفة العلوية وقامتا بالطهو وأكلتا ثم عادتا إلى مكانهما. استيقظ الشاب ليجهز الأكل لإخوته قبل عودتهم فلم يجد الطحين وتأخر في تجهيز الأكل، وبعد عودة إخوته أخبرهم أنّ أحدهم سرق منه الطحين. وفي اليوم الثالث طلب منهم الأخ الأصغر أنّ يبقى هو في الكوخ، فبعد خروج إخوته تظاهر بالنوم فنزلت الفتاتان وقامتا بما كانتا تقومان به في كل مرة، وبعد أنّ أكملتا من ذلك أمسك بهما الشاب وسألهما عن أمرهما فأخبرتاه عن قصتهما لكنهما اختلفتا فيمن تكون أختهم الحقيقية. ولما عاد إخوته من الحقل أخبرهم بأمرهما، فصدقوا الخادمة فيما قالت لأنها ذات بشرة بيضاء، فكيف أنّ تكون لهم أخت ذات بشرة سوداء، ولم يصدقوا أختهم فيما قالتها، فجعلوا من الخادمة أختاً لهم تبقى في البيت وجعلوا من أختهم خادمة ترعى الجمال. كانت الفتاة أثناء رعيها للجمال تجلس وتبكي وتقول "رو رو أبيضريو، أوي يزران فافا اذ يما، ثكليث ثوغال إوخام مذذك أغالغ إتكساوث إغمان روث ماتسروم أيلغمان"، بمعنى "ابكي ابكي يا عيني، ليتني أرى أبي وأمي، فالخادمة صارت للبيت وأنا صرت لرعي الجمال ابكوا إن أردتم أن تبكوا أيها الجمال"، فتجتمع عندها الجمال وتبكي معها ولا ترعى إلاّ واحدا منهم لأنه أصم لا يسمع ما تقول، فهو يأكل فقط. تعجب الإخوة من أمر الجمال التي تتراجع حالتها من يوم إلى آخر فقد تغير شكلها كأنها لا ترعى إلا ذلك الأصم فهو أحسنهم. وفي اليوم التالي لما كان الإخوة في الحقل طلب أصغرهم أن يأخذ الأكل للخادمة، ولما وصل وقدم لها الأكل، تظاهر بأنّه عاد إلى عمله، لكنه اختبأ وراء صخرة ليرى ما سبب نحافة الجمال، فبدأت الخادمة تقول ما كانت تقوله وتبكي، وكذلك الجمال تبكي معها. تعجب الشاب لأمر تلك الخادمة وما كانت تقوله، فعاد وأخبر إخوته بما رأى وسمع فقصدوا الشيخ الحكيم، لاستشارته في أمر الفتاتين، فأمرهم الشيخ أن يأخذ أحدهم الفول بين يديه ويتظاهر بالسقوط أمام الفتاتين، فأما التي تسرع إليه لترى إن أصابه مكروه فهي أختهم وأما التي تلتقط الفول

فهي الخادمة، وطلب منهم أيضا أن يعطوا للفتاتين قليلا من الزيت ويطلبون من هما أن يدهنا بها شعرهما وأن تسرحاه أمامهم، فأما التي يكون شعرها طويلا ومنسدلا فهي أختهم وأما التي يكون شعرها قصيرا ومجعدا فهي الخادمة. تأكد الإخوة بعد ذلك أن الخادمة التي كانت ترعى الجمال هي أختهم الحقيقية، أما الأخرى فهي الخادمة، ودلهم الشيخ كيف يعيدونها لأصلها، فصارت بعدها بشرتها بيضاء، أما بشأن الخادمة فقام الإخوة بربطها إلى الحصان ليجرها، فانطلق بها الحصان إلى أن لم يبق شيء منها إلا رأسها، فأحضره لأختهم، التي وضعت الرأس كأثافي للموقد ووضعت فوقه القدر. كان الرأس يذبل ويذبل إلى أن صار في حجم حبة الفول، فرمته للقط ليلعب به، وفي كل مرة تجده أمامها ترميه فيعود من جديد أمامها. انزعجت منه في أحد الأيام ورمته بعيدا، فغضب منها القط فأطفأ النار، فاحتارت في أمرها، إذ كيف لها أن توقد النار لتطهو لإخوتها الأكل قبل عودتهم من الحقل. خرجت من الكوخ ورأت دخانا مرتفعا من الغابة، فقصدته تطلب الجمر لتوقد به النار، فلما وصلت رأت بأن الدخان يخرج من كوخ الغولة، تقدمت من الكوخ وطلبت الجمر، فوخزت لها الغولة إبرا من الباب حتى الموقد وأمرتها بالدخول. مشيت الفتاة على الإبر، وأخذت الجمر وعادت وقداها تنزفان بالدماء التي بقيت أثارها في الطريق. تبعت الغولة في اليوم التالي أثار الدماء، فعرفت الطريق إلى بيت الفتاة، وبعد ذلك كانت تقصدها كل يوم وتطلب منها أن تخرج إليها إصبعها لتمص من دمها. تغير شكل الفتاة فصارت نحيفة وشاحبة، فسألها إخوتها عن سبب ذلك، وأخبرتهم بما حدث، وفي اليوم التالي رجعت الغولة وطلبت منها الفتاة أن تعود إليها بعد تحسن صحتها. نصّب الإخوة للغولة فحا داخل الكوخ بحيث حفروا حفرة كبيرة ووضعوا فيها الحطب وغطوها بالسجاد، وكانوا ينتظرون مجيئها، ولما وصلت أمام الباب دعوها للدخول، دخلت فسقطت في الحفرة التي أوقدوا بها نارا، وهي تحترق في الحطب أخبرتهم الغولة بأنها ستنتقم منهم عن طريق رمادها.

غادر الإخوة مع أختهم الكوخ إلى مكان آخر واستقروا هناك، مضى وقت طويل وكانت الفتاة تبحث عما تطهوه لإخوتها وتذكرت مكان الكوخ القديم فقصدته فوجدت نبات الخباز قد نبت هناك، أخذت منه قليلا وطهته لإخوتها. عاد إخوتها واجتمعوا حول الأكل فكان كلما أكل واحد منهم ملعقة تحوّل إلى طائر وطار إلى أن بقي أصغرهم، فحاولت منعه لكنه قال لها بأن مصيره كمصير إخوته، ثم قال لها إخوتها جميعهم بأنها إذا أرادت أن يعودوا إلى حالتهم الأولى عليها أن تعدهم بأن تصوم عن الكلام سبع سنوات، عاهدتهم بذلك وطار الإخوة بعيدا. غادرت الفتاة المكان، بعد طيران إخوتها، فأخذت تمشي إلى أن وصلت إلى قرية، وتوقّفت عند نبع أمامه نخلة، غسلت وشربت وصعدت إلى أعلى النخلة واختبأت فيها. مرّ ابن السلطان من هناك ليسقي حصانه من ذلك النبع الذي كان تحت النخلة، فكلما وضع الحصان رأسه ليشرب رأى صورة الفتاة منعكسة في المياه، خاف ورفع من جديد، إلى أن تنبه له ابن السلطان ونظر في الماء فرأى صورة الفتاة المنعكسة فيه، فلما نظر فوق الشجرة تعجب من أمر وجمال تلك الفتاة، ونصحها بالنزول لكنها رفضت، فاتجه إلى مجلس القرية وجمع الناس وأعلمهم بشأن الفتاة، وأن من استطاع إنزالها من فوق الشجرة له مكافأة كبيرة. وقالت له عجوز بأنها ستقوم بذلك، واتجهت إلى مكان تواجد الفتاة وأخذت معها مطحنة القمح وجلست تحت الشجرة وتظاهرت بأنها لا تعرف استعمالها، فدلتها الفتاة بيديها على كيفية استعمالها لكونها صائمة عن الكلام، لكن العجوز تظاهرت بعدم الفهم وطلبت منها أن تنزل إليها وتساعدّها. نزلت الفتاة وأمسك بها ابن السلطان وأخذها إلى بيته ثم تزوجها، وأنجب معها الأولاد، وبعد مضي سبع سنوات ولم تتكلم فيها الفتاة، قرر أن يتزوج مرة أخرى. وفي يوم زفاف زوجها أرسلت الفتاة الخادمة أن تحضر لها ماء من النبع، وحين عودتها أخبرتها بأنها وجدت سبعة طيور هناك متشابهين وكأنهم إخوة. طلبت الفتاة من الخادمة أن تصاحبها إلى مكان تواجد الطيور، ولما وصلت عرفتهم بأنهم إخوتها، فأسرعت إليهم فكلما عانقت واحدا منهم عاد إلى صورة التي كان عليها إلى أن عادوا كلهم إلى حالتهم الطبيعية كبشر، فرافقتهم إلى بيتها، ولما وصل زوجها وعروسه طلبت هذه أن تراها وشتمتها

بالبكماء، حينها تكلمت الفتاة وتساءلت كيف للعروس أن تتكلم قبل أن تقام لها طقوس الترحيب. تعجب زوجها لكلامها وسعد بالأمر، أما بشأن العروس فقد أعادها إلى بيت أهلها، وأكمل ابن السلطان الفرح احتفالا بزوجته التي تكلمت بعد سبع سنوات من السكوت وبإخوتها الذين عادوا إليها.

2-ملخص حكايات "ألف ليلة وليلة"

حكاية التاجر مع العفريت (1)

هي أول حكاية روتها شهرزاد للملك شهرمان في ليلتها الأولى، وتروي لنا الحكاية قصة تاجر فاحش الثراء، ذات يوم سافر يطلب في بعض البلاد، اشتد عليه الحر وجلس تحت شجرة، أكل كسرة وحبّة تمر ورمى نواتها، وإذا بعفريت طويل القامة وبيده سيف دنا من التاجر وقال له قم لأقتلك كما قتلت ابني، لقد جاءت نواة التمر على صدره فمات.

طلب التاجر من العفريت أن يتركه يذهب إلى البيت ويعطي كل ذي حق حقه ثم يعود إليه. استوثق منه الجني وأذن له وعاد إلى بلاده، وصل إلى البيت وقص على الجميع ما حدث له مع العفريت، وبعد انقضاء سنة أخذ كفنه وودع الجميع وغادر.

وصل التاجر إلى مأوى العفريت وجلس بانتظاره، فمر به شيخ كبير أقبل عليه ومعه غزالة وسلم على التاجر وسأله عن سبب جلوسه في هذا المكان وهو مأوى الجن. حكى له التاجر قصته مع العفريت فتعجب الرجل وتأسف على ذلك وقال له لن أبرح مكاني حتى أعرف ما يحصل لك مع العفريت وجلس بجانبه. فإذا بشيخ ثان قد أقبل ومعه كلبتين سلوقييتين، سأل الشيخ الرجلين عن سبب جلوسهما في ذلك المكان، فقص عليه التاجر قصته فجلس هو أيضا معهما لينظر ما يحدث. بعد مدة قصيرة مر شيخ ثالث ومعه بغلة فسلم عليهم وسألهم كذلك عن سبب جلوسهم في ذلك المكان الذي هو مأوى الجن، فأخبره التاجر بقصته وقال لن أذهب من هنا حتى أرى ما يحصل معك والعفريت فجلس معهم.

¹ - ملخص الحكاية، ألف ليلة وليلة، الكتاب الأول، ص12.

خرج العفريت وتقدم لقتل التاجر، فأشفق عليه الشيوخ الثلاث. تكلم الشيخ الأول - صاحب الغزالة- وقال للعفريت أقص عليك قصة هذه الغزالة إنّ رأيته عجيبة تهبني ثلث دم هذا التاجر، فقبل العفريت بذلك. قال الشيخ اعلم أيها الجنّي أنّ هذه الغزالة هي ابنة عمي، تزوجت منها وهي صغيرة عشت معها ثلاثين سنة ولم أرزق بالأولاد، فأخذت لي جارية ورزقت منها بولد كالبدر، كبر شيئاً فشيئاً حتى صار ابن خمس عشرة سنة فطرائت لي سفرة وسافرت، وكانت بنت عمي هذه تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلاً وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما إلى الراعي.

عندما عاد التاجر بعد غياب دام سنة لم يجد جاريته وابنه في البيت، فسأل زوجته عنهما فقالت له أنّ الجارية ماتت وابنه هرب، فحزن التاجر على ذلك لمدة سنة. جاء عيد الأضحى فطلب من الراعي أن يأتيه ببقرة سمينه ليقوم بذبحها، أحضر له الراعي بقرة وهي تلك الجارية التي حوّلها ابنة عمه إلى بقرة، ولما رأته البقرة دنت إليه وبدأت بالبكاء. رآف التاجر على البقرة وطلب من الراعي أن يذبحها له فلما فعل الراعي ذلك لم يجد فيها شحماً ولا لحماً، فطلب منه أن يحضر له عجلاً، فاحضر له الراعي ابنه الذي تحوّل إلى عجل ولما رآه العجل قطع حبله وجاءه يتمرغ بين رجليه ويبكي فرأف عليه التاجر، فطلب من الراعي أن يأتيه ببقرة ويدع هذا العجل.

أخذ الراعي العجل وأدخله إلى بيته فغطت ابنته وجهها وقالت: قد خس قدرتي عندك يا أبي حتى تدخل عليّ الرجال الأجانب، فتعجب والدها من الأمر وقال أين الرجال الأجانب؟ فقالت له أنّ هذا العجل ابن سيدي التاجر سحرته زوجة أبيه هو وأمّه، وأما عن أمه فهي تلك البقرة التي ذبحتموها. تعجب الراعي وذهب مسرعاً إلى التاجر ليخبره بما سمعه، فقال له اعلم أيها التاجر أنّ لي بنتاً تعلمت السحر منذ صغرها من عجوز كانت عندنا، وعندما دخلت بالعجل نظرت إليه ابنتي وغطت وجهها وأخبره بكل ما قالته له ابنته. عاد الراعي إلى بيته ومعه التاجر وحضرت ابنته فقال لها التاجر: أحقا ما تقولينه عن ذلك العجل، فقالت

له: نعم إنه ابنك وحشاشة كبذك. سألهما التاجر إن كان بإمكانها أن تعيده كما كان، ولها كل أمواله. قالت له ليس لي من أموالك شيء، لدي فقط شرطان الأول: أن تزوجني به والثاني: أن أسر من سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرها، فقبل التاجر بذلك. أخذت الفتاة طاسة وملأتها ماء وعزمت عليها ورشت به العجل، وقالت إن كان الله خلقك عجلا قدم على هذه الصفة فلا تتغير، وإن كنت مسحورا فعد إلى خلقك بإذن الله تعالى فإذا به انتفض وصارا إنسانا، ثم سحرت زوجة التاجر (ابنة عمه) إلى غزالة.

تعجب العفريت وقال: لك ثلث دم التاجر. ثم تقدم الشيخ الثاني صاحب الكلبتين السلوقيتين وقال للعفريت: سأقص عليك قصتي وهتين الكلبتين ولي ثلث دم هذا التاجر. قبل العفريت بذلك، فقال الشيخ: اعلم يا سيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين هما إختوتي وأنا ثالثهم. مات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت دكانا، أما إختوتي فسافرا بتجارتهما وغابا مدة سنة ثم عادا وليس معهما شيء. أخذتهما عندي وألبستهما ثيابا وأوكلتهما حتى شبعا ثم أخذتهما إلى الدكان وقسمت معهما الأرباح، وبعد مدة طلب مني إختوتي السفر معهما. رفض الشيخ الثاني السفر مع إختوته، ولكن بعد إلحاحهما عليه وافق على ذلك، وقبل سفرهم قام الشيخ بدفن نصف أمواله تحسبا لخسارة مالهم أثناء السفر.

سافر الإخوة لمدة شهر كامل، ووصلوا إلى المدينة وباعوا بضاعتهم فربحوا منها وأرادوا السفر، فتوجهوا إلى الشاطئ، فوجدوا جارية طلبت من التاجر (الشيخ الثاني) أن يعمل معها معروفا ويتزوجها. قبل التاجر بذلك فتزوجها وفرش لها المركب فرشا حسنا وأكرمها، ثم سافروا معا وقد أحبها حبا عظيما. انشغل عن إختوته فغارا عليه وحسدوه على كثرة ماله وبضاعته فتحدثا بأمر قتله طمعا في ماله. انتظر الأخوان حتى نام أخوهما فأخذه ورماه في البحر. فلما استيقظت زوجته ولم تجده، انتفضت فصارت عفريته وأنقذته وأخذته إلى إحدى جزيرة. غابت عنه فترة وعادت إليه في الصباح وقالت له أنها هي التي أنقذته من الغرق، وأخبرته أن أخويه هما من فعلا به ذلك، وأنها غاضبة ومنتقمة منهما، وطلب منها ألا تفعل

ذلك. استعطفته ثم طارت به إلى بيته. أخرج ماله الذي خبأه في الأرض واشترى البضائع، وفي الليل عندما دخل وجد هاتين الكلبتين، فأخبرته زوجته أنهما أخواه، وأرسلت إلى أختها ففعلت بهم ذلك ولن يتخلصا من ذلك إلا بعد عشر سنوات.

قال الجني أنها حكاية عجيبة ووهب له ثلث دم التاجر. تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني إن قصتي أعجب من هاتين القصتين، إن رويتها لك تهب لي باقي دمه، فوافق الجني على ذلك. قال الشيخ اعلم أيها السلطان أن هذه البغلة زوجتي، سافرت وغبت عنها مدة سنة ولما عدت في الليل رأيت عبدا أسود راقدًا معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقيل، وعندما رأيتني عجلت وقامت إلى بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني به، وقالت: اخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب، فصرت في الحال كلبا.

طردت الزوجة الكلب من البيت فذهب يسير حتى وصل إلى دكان جزار فصار يأكل من العظام. فرأف عليه الجزار وأخذه إلى بيته، ولما رأته ابنته غطت وجهها، فسألها والدها لماذا فعلت ذلك؟ فقالت له: كيف تأتيني برجل غريب؟ تعجب من ذلك وقال لها: أين هذا الرجل؟ فقالت له هذا الكلب إنه رجل سحرته زوجته إلى هذه الصورة، وأنا قادرة على تخليصه. قال لها أبوها: بالله عليك خلصيه، فأخذت بكوز فيه ماء وتكلمت عليه ورشت عليه منه فقالت: اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى.

قبل الرجل يد الفتاة وقال لها: أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني، فأعطت له قليلا من الماء وقالت له إن رأيته نائمة قم برشها بهذا الماء واطلب ما تريد أن تصير. ففعل ذلك وقال: اخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة. واعترف العفريت على أنها حكاية عجيبة ووهب له باقي دم ذلك التاجر، ففرح التاجر وشكر الشيوخ بما فعلوه من أجله وعاد إلى دياره.

ملخص حكاية الصيد مع العفريت⁽¹⁾

تروي الحكاية قصة رجل كبير في السن وهو صياد فقير، له زوجة وثلاثة أولاد، ومن عادته في الصيد أن يرمي شبكته أربعة مرات في اليوم، وذات يوم دخل البحر ورمى شبكته ولما ثقلت سحبها وفتحها ووجد فيها حمارا ميتا. رمى الشبكة للمرة الثانية ولما أحس بثقلها سحبها فوجد فيها مجموعة من قارورات. عاد ورمى شبكته للمرة الثالثة، انتظر لبرهة ثم سحبها فوجد فيها قممقا من النحاس الأصفر مختوما برصاص فيه خاتم سيدنا سليمان. فرح الصياد به لأنه سيربح فيه عشرة دنانير ذهباً بعد أن يبيعه في السوق. أحس بثقله ففتحها وإذا بدخان يخرج من القمم واجتمع في شكل عفريت، فارتعب الصياد، فقال له العفريت: لن أخالف لك أمرا بعد الآن يا سيدي سليمان، فأجابه الصياد أنه ليس بسيد سليمان فهو مات منذ ألف مائة سنة.

قرر العفريت قتل الصياد، لأنه قال في نفسه من قبل أن من يخلصه بعد مائة سنة يغنيه إلى الأبد مرت تلك الأعوام ولم يخلصه أحد، ثم ردّد في نفسه أن من يخلصه في المائة سنة الأخرى وهب له كنوز الأرض، ولم يخلصه أحد. أقام أربعمائة أخرى وقرّر أن من يخلصه يقضي له ثلاثة حاجيات ولم يخلصه أحد. غضب العفريت من ذلك فقال أن من يخلصه بعد الآن سيقوم بقتله فجاء الصياد وخلصه. خاف الصياد وتوسل إلى العفريت أن يبقيه حيا فأبى وبقي مصرا على قراره. فكر الصياد بحيلة للتخلص منه فقال له: باسم الأعظم خاتم سليمان أن أسألك، كيف كنت في القمم ولا يسع يدك؟ اضطرب العفريت عند سماع الأعظم فأجابه ألا تصدق ذلك؟ ردّ عليه الصياد أنه لا يصدق حتى يرى.

انتفض العفريت وصار دخانا ودخل القمم فأسرع الصياد ووضع له السدادة، فقال له سأرميك في البحر. توسل إليه العفريت أن لا يفعل به ذلك وإن خلصه يحسن إليه إلا أن الصياد لم يصدق، فقّص عليه ما حدث بين الملك والحكيم، وعندما أفرغ من حديثه قرر

¹ - ملخص الحكاية، ألف ليلة وليلة، الكتاب الأول، ص 17

رمى في البحر، صرخ المارد متوسلاً ألا يفعل ذلك، ووعده أن لا يغدر به وسيحسن إليه. فتح الصياد سداة القمم فخرج العفريت وطار به وفي كل مرة يذكره بالوعد. ولما وصلا إلى بركة ماء طلب منه العفريت أن يطرح شبكته، ففعل الصياد وإذا بها أسماك بألوان مختلفة فتعجب الصياد. طلب منه العفريت أن يقوم بأخذها إلى السلطان، كما طلب منه ألا يصطاد إلا مرة واحدة في اليوم، ثم انشقت الأرض وابتلعتة.

عاد الصياد إلى البيت ووضع الأسماك في الماجور فيه ماء وأخذها إلى السلطان، وعندما رآهم الملك تعجب كل العجب. أعطى الوزير للصياد أربع مائة دينار، وطلب من الجارية أن تقوم بطهيها، نظفتها ووضعتها فوق الطاجن، فلما استوى وجهها قلبتهم على وجهها الآخر، فإذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منه صبية حسناء وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزته في الطاجن، وقالت: هل أنتم على العهد مقيمين، فلما رأت الجارية ذلك أغمي عليها، ثم كررت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفعت الأسماك رؤوسها في الطاجن فأجابت نعم نعم ثم قال الجميع كلاما: إن عهدت عهدنا وإن وافيت وافينا وإن خرجت فإننا قد تكافينا. فقلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذي دخلت منه والتحم الحائط، وعندما قامت الجارية ووجدت السمك محروقا، أخبرت الوزير بما حصل لها مع الأسماك، فأخبر الملك بالقصة فلم يصدق ذلك حتى يرى بعينه.

طلب الوزير من الصياد أن يأتيه بمثل تلك الأسماك، فقام بإحضارها له. ذهب الملك إلى المطبخ وتكرر المشهد أمامه فتعجب الملك، وطلب بإحضار الصياد ليستفسر منه أمر الأسماك. وصل الصياد إلى القصر وقصّ عليه قصته مع العفريت وذهب الملك مع جنوده بحثا عن أمر هذه البركة والأسماك. عندما وصلوا إلى المكان بحث الملك عن شخص ما ليسأله، فرأى قصرا، طلب الإذن من أهله ولم يجبه أحد، فدخل الملك يبحث في أرجاء القصر عن أهله فوجد شابا مليحا نصفه التحتاني حجر، فسأله عن سبب حالته تلك، فقص له الشاب حكايته على أنه أحب ابنة عمه وأحبته فتزوجا وأقاما مع بعضهما، وذات يوم سمع

الجواري تتكلم عنه بأن زوجته تخونه بحيث تقوم بإعطائه منوماً، وبعد أن ينام تخرج من القصر. قرر الشاب أن يراقب زوجته بعد ما سمعه، وذات يوم خرجت زوجته كعادتها فتبعها إلى أن وصلت لمكان يقيم فيه عبد أسود، أكلت عنده وشربت وضحكت. غضب الشاب على ما تفعله به زوجته فأخرج سيفه وحاول قتلها، فهربت زوجته عائدة إلى القصر دون أن تعرف من يكون ذلك الرجل فقد كان متتكرراً، أما هو فقد طعن ذلك العبد الأسود لكنه لم يقتله.

حزنت الزوجة على ما حدث للعبد الأسود لكنها كانت تتظاهر أمام زوجها على أنها حزينة على والدتها التي ماتت مؤخراً. طلبت من زوجها أن يأذن لها ببناء مدفناً في القصر كالقبة وتتفرد فيه بأحزانها، فقامت بذلك ونقلت ذلك العبد إلى القبة. صبر عليها زوجها أعواماً وأعواماً وهي على تلك الحال، وذات يوم دخل عليها فوجدها تبكي وتلطم وجهها عند العبد وأنشدت أبياً تشوقها إليه. سمع زوجها ما كانت تقول ووصفها بالخائنة وأخبرها أنه السبب فيما حدث للعبد الأسود، ثم رفع سيفه ليقوم بقتلها فقامت من مكانها وتكلمت بكلام غير مفهوم وقالت بعد ذلك: جعل الله بسحر نصفك حجراً ونصفك الآخر بشراً فصار على تلك الحال.

وقامت الزوجة أيضاً بسحر أهل المدينة إلى أسماك وفيهم أربعة أصناف: مسلمين، نصارى، يهود، ومجوس، وسحرت أيضاً الجزر الأربعة جبلاً وأحاطتها بالبركة. قامت بعد ذلك بتعذيب زوجها بحيث تقوم كل يوم بضربه بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم منه. حزن الملك على الشاب وزاد هما على همه وقرر أن يصنع معه معروفاً، فنزل إلى القبة أين يوجد العبد الأسود فاخترتاً من تحته. وعندما أتت زوجة الشاب تكلم بكلام خفيف كما كان يكلمها العبد، وقال لها إن أرادت أن يستعيد عافيته عليها أن تخلص زوجها مما هو عليه لأنه يزعه بصراخه المتواصل.

ظنت زوجة الشاب أن العبد يستعيد عافيته وفرحت لذلك، وخرجت من القبة واتجهت إلى القصر فأخذت طاسة وملأتها ماء ثم تكلمت عليها ثم رشته منه وقالت: بحق ما تلوته أن تخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى، فانتفض الشاب وقام على قدميه، ثم عادت إلى القبة وطلبت من العبد الخروج لتراه، فقال لها أنه لا يستطيع لأن أهل القرية الذين حولتهم إلى الأسماك يدعون عليه فعليها أولاً تخليصهم من ذلك. خرجت إلى البركة وأخذت قليلاً من الماء وتكلمت عليه بكلام لا يفهم فرفعت الأسماك رؤوسهم ثم صاروا آدميين في الحال وانفك السحر عن أهل المدينة وانقلبت الجبال جزراً كما كانت. ثم عادت الزوجة إلى الملك وهي تظن أنه العبد وقال لها اقتربي مني وعندما اقتربت أخذ صارمه وطعنها في صدرها حتى خرج من ظهرها.

شكر الشاب الملك على ما فعله من أجله وتعانقا فطلب منه الملك الذهاب معه إلى مدينته ويكون في محل ابنه الذي لم يرزق به. عندما وصلا إلى القصر، طلب الشاب مجيء الصياد لأنه هو السبب في خلاصه مما كان عليه، فتزوج الملك والشاب من ابنتي الصياد، فصار هو من أغنياء المدينة.

ملخص حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل"⁽¹⁾

تروي الحكاية قصة ملك لم يرزق بالأولاد، وبعد ذلك تزوج بملكة بحرية اسمها جلنار. قُدمت إليه على أنها جارية أحبها وتزوجها، واشترطت عليه ألا يلمس امرأة أخرى غيرها، ومن ثم حملت منه الملكة جلنار ورزقا بولد سماه بدر باسم. ولما كبر قليلاً الولد توفي والده الملك شهرمان، وتولى بدر باسم الملك مكان والده بمساعدة وزرائه وأمه الملكة جلنار. وفي إحدى الأيام جاءت والدته جلنار وأخاها صالح، وكانا يتناقشان بأمر بدر باسم وأشار عليها صالح بأن تزوجه، أما بدر باسم فقد كان يتظاهر بالنوم وهو يستمع للحديث بين والدته وخاله، وكان صالح يعرض على أخته أسماء لملكات البحر، وكان كلما عرض عليها اسماً

¹ - ملخص الحكاية، ألف ليلة وليلة، الكتاب السادس، ص 21.

تقول لا والله بدر باسم أحسن منها مُلكاً وجمالاً. فكانا يتحدثان ظناً منهما أنّ بدر باسم كان نائماً، فذكر لها الملكة جوهرة بنت الملك السمندل وذكر لها مواصفاتها وقال لها صالح ألا تذكر ذلك لابنها حتى يطلبها له هو من أبيها، فإن أعطاها له فكان ذلك أحسن وإن لم يفعل تجنبوا ألم بدر باسم، وكان بدر باسم يستمتع لحديثهما فعشق جوهرة من خلال سماعه عن جمالها، وبعد بضعة أيام عند مغادرة صالح مملكة أخته إلى البحر طلب منه بدر باسم أن يأخذه معه ليتعرف على مملكة خاله في البحر. رفض خاله في البداية الأمر، وبعد إصراره عليه أخذه معه وفي الطريق سأله بدر باسم عن جوهرة فعلم خاله ما حلّ به، ولما وصل صالح إلى بيته ترك بدر باسم مع والدته، وخرج هو إلى الملك السمندل ومعه أغلى الهدايا وأفخر الجواهر لطلب يد جوهرة لابن أخته بدر باسم، وردّ الملك خائباً، وفي المرة الثانية التي قرر فيها صالح العودة إلى والد جوهرة لطلبها، هبّ جيشه بأكمله وتوجه إليه فآسر الملك السمندل ولما علمت جوهرة بما حدث لوالدها هربت إلى جزيرة. كان بدر باسم يتجول في البحر ولما سمع عن أسر خاله للسمندل هرب خوفاً من أعوان الملك الذين هربوا، وصل بدر باسم إلى جزيرة واستراح تحت شجرة كبيرة وأسند رأسه إليها ولما فتح عينيه تعجب من جمال تلك الفتاة التي كانت فوق الشجرة، فبعد أن نزلت جوهرة من على الشجرة وخادمتها سألها بدر باسم من تكون فازداد عشقاً بها، أما هي فبعد أن علمت من يكون قامت بسحره إلى طائر بحيث تمت بسلام غير مفهوم وتقلت في وجهه وقالت له أخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر من أحسن الطيور أبيض الريش وأحمر المنقار والرجلين، فتحول إلى ذلك وأمرت خادمتها أن تأخذه إلى جزيرة لا يوجد فيها لا مأكلاً ولا مشرباً، ولكن الخادمة رأت عليه، فأخذته إلى جزيرة الصيادين وبعدها اصطاده صياد واندesh من جماله، وأخذه كهدية لملكه، فاندesh الملك من جمال الطائر وتعجب أن الطائر لم يأكل من أكله الخاص بل أكل من أكل الملك وشرب شرابه. دعي الملك زوجته لتري الطائر، فلما جاءت غطت وجهها وأخبرته أنّ الطائر رجل وهو الملك بدر باسم ابن الملكة جنانار البحرية، وسحرته الملكة جوهرة إلى طائر، رآف عليه الملك، ولكون زوجته تعلمت السحر طلب منها

أن تعيده إلى هيئته البشرية، فأخذت كأس ماء وتمتمت فيه ورشته به وقالت له "عدّ إلى صورتك التي كنت عليها" وما إن أكملت كلامها حتى صار كذلك، فشكر بدر باسم الملك على ما فعله معه، وأعطى له الملك مركبا وكل ما يحتاجه في طريقه وأرسل معه بعض البحارة لإيصاله، فبعد أيام من إبحاره هاجمته عاصفة وأغرقت مركبه وغرق من معه، فنجى هو على قطعة خشب من المركب، ولم يشعر بحاله إلى وهو على شاطئ جزيرة. ظهرت إليه حيوانات حاولت منعه من النزول إلى البرّ وإبعاده من الشاطئ، فحط من الجانب الآخر لتلك المدينة فتعجب من أمرها وخلوها من الناس ومن أمر كل تلك الحيوانات، التقى بدر باسم بشيخ بقال في طريقه فأخذه الشيوخ معه، أخبر الشيوخ بدر باسم عن أمر تلك المدينة التي حط فيها، فهي لملكة ساحرة وأن تلك البغال والجمال والطيور التي منعتها أن يحط في الشاطئ ما هم إلا من شباب المدينة أو من زوارها الذين سحرتهم الملكة لآب إلى تلك الحيوانات بعد أن تعاشرهم أربعين يوما.

خاف بدر باسم بما أخبره الشيوخ، لكن هذا طمأنه بأنها لن تستطيع أذيته ما دام في رعايته. بقي بدر باسم عند الشيوخ وذات يوم مرت الملكة من جانب محل البقال فرأت بدر باسم فقصدت الشيوخ بشأنه وقال لها الشيوخ أنه ابن أخيه جاء لزيارته، وبعد بضعة أيام طلبت الملكة من الشيوخ أن تستضيف ابن أخيه في قصرها وسمح لها بذلك وحذرها من أذيته، فهو ساحر أقوى منها.

بقي بدر باسم مع الملكة في قصرها مدة وكان يزور الشيوخ من حين لآخر ويخبره بكل ما تفعله الملكة وما تقوله له، ولما أكملت معه أربعين يوما حاولت أن تسحره إلى حيوان، لكنها لم تفعل في ذلك لأن الشيوخ أوصى بدر باسم بما يفعل، ثم قام هو بسحرها إلى بغلة بعد أن أوكّلها من سويقه ورشها بالماء وقال لها أخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة فتحوّلت إلى ذلك، وطلب منه الشيوخ أن يضع لها اللجام وألاّ يسلمه لأي كان.

ركب بدر باسم البغلة وغادر بها المدينة ولما وصل إلى مدينة أخرى التقى فيها بعجوز وشيخ، طلبت منه العجوز أن يبيع لها البغلة، ولما أصرت عليه وبمساعدة الشيخ وحيلتها باعها لها فنزعت اللجام للبغلة وعانقتها ثم رشتها بالماء وقالت لها يا بنتي أخرجي من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها" ثم عادت إلى صورتها البشرية.

عادت الملكة لاب وأمها إلى مملكتها وأخذت معها بدر باسم ثم سحرته إلى طائر قبيح المنظر ووضعت في قفص ومنعت عليه الأكل والشرب، إلى أن الخادمة كانت تساعد، ثم ذهبت إلى الشيخ البقال وأخبرته بما حصل لبدر باسم فبعثها الشيخ إلى الملكة جلنار لتخبرها بما حدث لابنها، ثم ذهبت الملكة جلنار لإنقاذ ابنها، وبعد أن قتلت الملكة لاب وأمها فكّ السحر على ابنها وعاد إلى صورته البشرية، كما خلصت كل من سحرته الملكة لاب وأعادتهم إلى حالتهم الأصلية، ثم عينت الشيخ البقال ملكا لتلك الجزيرة وزوجته بالخادمة. عادت الملكة جلنار بابنها إلى مملكته وزوجته بالملكة جوهرة وأقامت لهم حفلا كبيرا دام أياما وليالي.

المبحث الثاني: التحول في الحكايات الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة

1-دراسة التحولات في الحكايات القبائلية

حكاية "بقرة اليتامى"

تحول الولد إلى تيس وذلك بسبب شربه من المنبع الخاص بالحيوان، وحدث ذلك بسبب عدم سماع الولد لكلام أخته، فقد حذرت من الشرب من ذلك المنبع، لكنه تحايل عليها وشرب منه فتحول إلى تيس.

وفي رواية أخرى للحكاية ذاتها تذكر الراوية أن الولد تحول إلى تيس بعد أن استحم في نبع الأحرار ونظر إلى الورا، فوالدة الطفلين حذرتهما من ذلك بحيث نصحتهما بأن يذهبا ويستحما من نبع الأحرار وحذرتهما من الالتفات إلى الورا ثم العودة إليها، فالفتاة امتثلت لنصيحة أمها فبقيت على حالها، أما الأخ فخالف أمر والدته فتحول إلى تيس.⁽¹⁾

يمكننا أن نستنتج أن التحول حدث لأن الولد لم يسمع كلام أمه ونصيحة أخته بعدم الشرب من النبع، أو النظر إلى الورا. وهذا يعتبر عند فرايزر اعتبره من المحرمات وهو السحر التعاطفي السلبي الذي يقول لا تفعل هذا لكيلا يحصل كذا وكذا، وهدفه هو تجنب شيء غير مرغوب فيه⁽²⁾. كما أن للألم مكانة في المجتمع وخاصة إذا كانت ميتة، فبعض المجتمعات تقدسها، فهي رغم موتها لا تزال تخاف على ولديها وتفكر فيهما وتعلم بما يحدث معهما وتحس بهما. فقد فجاء في معتقد شعبي قبائلي أن: "أروح نلميث ذفير مثمضلن أديوغال أروخاميس يدوير فلاس أكذ وراويس"⁽³⁾، بمعنى أن روح الميت بعد دفنه يعود إلى بيته فيحوم حوله وحول أسرته وأولاده، كما يذكر لنا فرايزر بعض معتقدات الشعوب في مختلف مناطق العالم حول ذلك، فعند أصلاء أستراليا لا يتم ذكر اسم شخص ميت خوفا من

¹ - عن وردية قدوش، 86، قرية سيدي علي موسى، معاققة، تيزي وزو، حكاية "بقرة اليتامى".

² - ينظر: جيمس جورج فرايزر، الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، تر: نايف الخوص، دار الفرد، دمشق-سوريا، ط1، 2014، ص39.

³ - عن ذهبية حماد، 82 سنة قرية ورياشة/الناصية/بومرداس.

إيقاظ روحه، وكذلك عند أصلاء فكتوريا ينذر أنّ يذكر الموتى بأسمائهم بحيث يشيرون إلى الشخص الميت بالشخص الضائع أو المسكين الذي لم يعد موجوداً، لأنهم يفترضون أنّ ذكرهم له يجلب أرواح الموتى المهلكة التي تحوم فوق الأرض مدة معينة قبل أن تصعد إلى الشمس الغاربة، وإذا ذكر اسم الميت يذكر بصوت خافت كي لا يزعجوا روحه المتجولة فيما بينهم على شكلها الشبحي، وعند الطوارق يفعلون كل ما بوسعهم لتجنب ذكر الميت وقد يلجؤون إلى تغيير مكان مقرهم وذلك خوفاً من عودة روح الميت، وفي شمال غرب أمريكا يغير أقارب الميت أسمائهم اعتقاداً منهم أنّ روح الميت تعود إلى الأرض إذا ما سمعت أسماء مألوفة لديها.⁽¹⁾

كما شهدنا في حكايتنا تجسد روح الأم في البقرة التي كانت تعتني بالأولاد وترضعهم، كما تجسد أيضاً في الطائر الذي رافق البقرة عندما أخذها الأب إلى السوق لبيعها، حيث كان يقول الطائر: "تافوناست إغوجيلن أور تثنوز أور ترهن" بمعنى أن بقرة اليتامى لن تباع ولن ترهن، ويمكننا أن نفسر كلام الطائر على أنه كلام روح الأم، هناك معتقد قبائلي آخر يقول "أروح نلميث يتسمتلد ذ لحيوان أيديور ذ قوخام لمثل ذ قومشيش تثنوزنارا سقوخام، نغ أفرطو مديكشم سخام، نغ أفروخ ميدوير أفوخام"⁽²⁾ بمعنى أن روح الميت تتجسد في حيوان يدخل إلى البيت أو يحوم حوله كالقط مثلاً إذا رآه يدور في البيت لا يطرده، وكذلك الفراشة إذا دخلت إلى البيت، أو طائر إذا رآه يحوم حول البيت يقولون أنه روح الميت هي التي تحوم حول البيت. وعلى هذا تحكي خالتي ذهبية عن جارتها، وهي امرأة كبيرة توفي زوجها، ويوم الدفن في الليل دخلت عندها فراشة وكانت تحوم حول الشمعة ثم أطفأتها فقالت لهم أنه روح زوجها هو الذي عاد إليها في شكل الفراشة.⁽³⁾

¹ - ينظر فرايزر، الغصن الذهبي، المرجع السابق، ص 331-333.

² - عن ذهبية حماد، المذكورة سابقاً.

³ - عن ذهبية حماد، المذكورة سابقاً.

خاصة إن كان الشخص الميت أمّا تركت أولادها صغاراً، فالأم دائمة التفكير والخوف على أولادها وعلى مصيرهم بعدها، خاصة أن الولدان دائمي الشكوى والبكاء أمام قبر أمهما، فهي منبع الأمان والاطمئنان بالنسبة لهم. ففي حكايتنا هذه تحتل الأخت مكان أمها بعد أن غادرا الأخوان المكان لأن زوجة أبيهما لم تترك لهما مجالاً للعيش في ذلك المكان، فرغم أنّ أخاها لم يسمع كلامها وشرب من النبع إلا أنها لم تتخلّ عنه واعتنت به إلى أن عاد إلى حالته الطبيعية وذلك بعد أن استشارت شيخاً حكيماً في أمره وطلب منها أن تأخذه إلى نبع الأحرار ويستحم هناك، فبعد أن قام بذلك عاد إلى صورته الطبيعية كبشر.

ملاحظة:

هناك من يخاف من استحضر أرواح الأموات، ويرى أنها أرواح مهلكة، وهناك من يحبذ ذلك خاصة أرواح الآباء والأجداد لأنها تحافظ على علاقتها بهم حتى بعد الموت، وهذا ما شهدناه في حكاية "بقرة اليتامى".

حكاية "منفية إختها السبعة"

نجد تحولاً في لون بشرة الفتاة السيدة (الحرّة) من الأبيض إلى الأسود بعد أن غسلت من النبع الخاص بالأسود (اكلان، العبيد)، وتحول لون بشرة الخادمة من الأسود إلى الأبيض بعد أن غسلت من نبع الأسياد (الأحرار). وقد يعود هذا التحول لعدم معرفة الفتاة الحرّة بأمر النبع وعدم استشارتها لوالدها في الأمر، وتضييعها للحبة المنادية أثناء غسلها من النبع.

وهذا التحول ليس كغيره من التحولات الأخرى التي مرت بنا ، فهو ليس تحول كامل للجسد، بل هو تغير في لون البشرة، ولا يؤثر هذا التحول بشكل كبير على الجسد، بقدر ما يؤثر على جمال ومكانة الشخصية الاجتماعية، فالمجتمع القبائلي قديماً هو مجتمع طبقي " لان يمرافضن ذيحرين ذويذاك يسعان، لان لقفايل خدمن ثمرث نيمرافضن، لان يكلان ذي فركانن سخدامنتن يمرافضن ذي كلش"⁽¹⁾، بمعنى توجد ثلاث طبقات، طبقة المرابطين وهم

¹ - عن عبة جوهر، 88 سنة، قرية سيدي علي موسى، معانقة، نيزي وزو.

الأحرار، وطبقة القبائل يشتغلون في أراضي المرابطين، وطبقة ثالثة هي طبقة العبيد (إكلان) وهم ذو بشرة سوداء، يقومون بكل الأعمال لدى المرابطين. "فبسبب تحول في لون البشرة صارت الخادمة سيدة تعيش مع أسيادها الأحرار، والسيدة الحرة صارت خادمة لدى إختوتها. نلاحظ من خلال هذا التحوّل في لون البشرة يؤدي إلى التأثير على الرتبة الاجتماعية.

أما التحوّل الثاني الذي حدث في الحكاية هو تحوّل الإخوة السبعة إلى طيور الحمام وذلك بعدما أكلوا من الطعام المتمثل في نبات الخبّاز الذي نبت في مكان رماد الغولة التي قاموا بحرقها انتقاماً منها لما فعلته بأختهم، وخوفاً منها على أن تؤذيهم فقالت لهم " عاونثي أكنغونغ ميغناكن ربي، نانس لغنى نغ ذ كميني ينعان وتماتنغ، ثناياسن جيغاون غيغونغ أمثريل" بمعنى: ساعدوني سأغنيكم إن أغناكم الله وقالوا لها إنّ غانا في موتك لأنك حاولت أن تقتلي أختنا، وقالت لهم سأترك لكم رمادي"⁽¹⁾ ويعني هذا أنّ رمادها هو الذي سينتقم منهم، فبقاء لعنة الغولة أو شرها في رمادها وبالتالي انتقاله إلى النبات الذي نما في الرماد والذي بدوره أثر على الإخوة في تحويلهم إلى طيور.

ويمكننا أن نقول على هذا التحوّل أنّه نوع من السحر حدث بفعل لعنة الغولة، كما يمكن تصنيفه حسب ما قاله فرايزر على أنه من سحر العدوى والذي يقول " أن الأشياء التي تتصل ببعضها البعض يبقى تأثيرها المتبادل مستمرا من بعيد بعد انقطاع الاتصال المادي بينهما"⁽²⁾، فرغم موت الغولة إلا أنها استطاعت أن تترك شرها في رمادها وبالتالي انتقاله إلى النبتة التي نمت فيه، ثم تأثيرها على الإخوة بفعل اتصالهم بها عن طريق أكلها، وبالتالي يمكن أن نقول أنّ الغولة حققت انتقامها منهم بفعل تحويلهم إلى طيور. وعن ذلك يقول فرايزر: "علينا أن نلاحظ أن الإنسان لا ينقل الشر الذي يريد التخلص منه إلى الإنسان الآخر فقط بل يمكن نقله إلى حيوان أو إلى شيء جامد، رغم أنه في الحالة الأخيرة إنما يكون

¹ - ذهبية حماد، حكاية "منفية إختوتها السبعة".

² - جيمس فرايزر، الغصن الذهبي، المرجع السابق، ص 29.

الشيء مجرد أداة ينقل عن طريقها المشكلة إلى أول شخص يلمسها⁽¹⁾. ويشرح هذا المعتقد بأمثلة من مختلف المناطق، والتي تقول أنّه بإمكان الإنسان أن ينقل شره إلى شخص آخر، أو إلى حيوان أو شيء جامد وأول شخص يلامس ذلك الشيء ينتقل إليه الشر، فمثلاً باستطاعته نقل أحزانه إلى شخص آخر بهذه الطريقة، وخاصة نقل الأمراض والشفاء منها⁽²⁾.

طلب الإخوة السبعة من أختهم أن تعدهم بالصوم عن الكلام لمدة سبع سنوات لفك تلك اللعنة التي حلّت بهم والعودة إلى حالتهم الطبيعية، وفت الأخت بالعهد لأخوتها، فبعد مرور سبع سنوات عاد الإخوة إلى حالتهم بعد لقائهم مع أختهم.

خلاصة: لاحظنا من خلال الحكايات القبائلية أن ظاهرة تحوّل الشخصيات تحدث إما بفعل اللعنة، أو بفعل عقيدة الأولياء-الإحيائية.

2-دراسة التحوّلات في حكايات ألف ليلة وليلة

انتقينا من كتاب ألف ليلة وليلة ثلاث حكايات كنماذج للدراسة، وذلك لاحتوائها على ظاهرة تحول الشخصيات، بحيث تتحول فيها شخصية "الإنسان" من طبيعة آدمية إلى طبيعة حيوانية. وهذه الحكايات هي: حكاية "التاجر مع العفريت"، حكاية "الصيد مع العفريت"، وحكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وابنة الملك السمندل"، فبماذا ارتبطت ظاهرة التحوّل في هذه الحكايات؟

حكاية التاجر مع العفريت

نجد في حكاية التاجر مع العفريت عدة تحولات، منها ما قامت به زوجة التاجر الأولى إذ سحرت ابن زوجها من "الزوجة الثانية" إلى عجل، وسحرت هذه الأخيرة إلى بقرة وذلك بسبب غيرتها منها لأنها أنجبت لزوجها ولدا في حين هي لم ترزق بالأبناء، ولتخلص منهما

¹- جيمس فرايزر، الغصن الذهبي، المرجع السابق، ص 687.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 688-690.

سلمتهما للراعي وأنكرت أمرهما على زوجها، وتذكر الحكاية أن الزوجة الأولى تعلمت السحر والكهنة منذ الصغر، فيقول التاجر: "كانت ابنة عمي هذه الغزالة هي تعلمت السحر والكهانة من صغرها، فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما إلى الراعي".⁽¹⁾

والملاحظ من هذين التحوّلين أن هناك علاقة بين المتحوّل والمتحوّل إليه، بحيث أن الولد ذكّر حوّل إلى عجل وهو من نفس الجنس (ذكر)، كذلك بالنسبة للأم هي أنثى حوّلت إلى بقرة من نفس جنسها.

ونجد مثل هذه الظاهرة -ظاهرة تحوّل المرأة إلى بقرة- مجسدة في الأساطير القديمة لأوفيد "وكان جوبيتر قد توقع أن زوجته لابد قادمة، فمسخ "إيو" ابنة إناخوس بقرة ذات أرداف وضاءة، غير أنها على الرغم من هذا التحوّل ضلت جميلة فاتنة".⁽²⁾

يمكننا القول أنّ هذه الظاهرة ناتجة عن رواسب معتقدات دينيّة قديمة ضلت راسخة في الذاكرة الشعبية.

نجد من جهة أخرى تحوّلًا آخرًا وهو الذي قامت به ابنة الراعي الذي استلم العجل والبقرة من الزوجة الأولى للتاجر، بحيث قامت الابنة بإعادة العجل إلى صفته الآدمية وذلك بعدما اشترطت على التاجر بتزويجها منه، فقامت بأخذ طاسة وملأها ماء ثم عزمت عليها ورشت به العجل وقالت: "إن كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير، وإن كنت مسحورا فعد إلى خلقك الأولى بإذن الله تعالى، وإذا به انتفض وصار إنسانا".⁽³⁾

وقامت أيضا بسحر زوجة التاجر الأولى إلى غزالة وذلك خوفا من مكرها.

¹ - ألف ليلة وليلة، منشورات دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، ط2، 1994، ص12.

² - أوفيد، المرجع السابق، ص45.

³ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص12.

وهناك تحولا آخر يتعلق بالشيخ، وهو ما قامت به أخت زوجته بحيث سحرت أخوي الشيخ إلى كلبتين سلوقييتين، وذلك انتقاما منهما لمحاولتهما قتل أخيهما طمعا في ماله.⁽¹⁾

ونجد تحولا آخر من نفس النوع وهو ما قامت به زوجة الشيخ الثالث، إذ حوّلت زوجها إلى كلب بعد ما وجدها مع رجل غريب في بيته. فلما رآته عجلت وقامت إلى بكوز فيه ماء فتمتت عليه ورشته وهي تقول "أخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب"⁽²⁾. فصار في الحال كلبا، ورمته في الشارع فصار يمشي حتى وصل إلى دكان جزار وصار يأكل من العظام، إلا أن هذا الزوج لم يدم على صفة -كلب- بل أعادته ابنة الجزار التي تعلمت السحر من عجوز، فأخذت كأسا فيه ماء وتكلمت عليه فرشته به قائلة "أخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى"⁽³⁾، فصار في الحال إلى صورته الآدمية.

نلاحظ في التحوّل الأول -التحوّل إلى كلبتين سلوقييتين- أن الأخوين بقيا على حالتهم لأنهما أذنبا في حق أخيهما، أما التحوّل الثاني -التحوّل إلى ذئب- أعادته ساحرة أخرى إلى صورته الأولى لأنه لم يقترب أي ذئب.

فالكلب يتكرر في ظاهرة التحوّل والسبب يعود إلى مرافقة هذا الحيوان للإنسان منذ القدم، فكانوا يصورون الكلب بصفات مختلفة، من جهة ذمه ومن جهة أخرى مدحه، ونجد في كتاب الحيوان للجاحظ كلام كثير حول الكلاب، فمثلا قالوا عنه: "من لؤمه أنه إذا أسمىته أكلك، وإن أجعته أنكرك. ومن لؤمه إتباعه لمن أهانه، وإلفه لمن أجاعه، لأنه أجهل من أن يأنس بما يؤنس به، وأشره وأنهم وأحرص وألج من أن يذهب بمطعمته ما يذهب بمطامع السباع."⁽⁴⁾

¹ - ينظر: ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص14.

² - المرجع نفسه، ص ن.

³ - المرجع نفسه، ص ن.

⁴ - أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، 1995، ص280.

كما وردت أساطير كثيرة عن الكلاب ذات صفات عجيبة كأسطورة "في العالم السفلي" بحيث توجد منطقة في العالم السفلي وهي "هاديس الجادية" ويقف على بابها حارس مخيف كريبروس، وهو كلب متوحش ذو ثلاثة رؤوس، وله ذيل تتين، لا يحاول هذا الكلب إطلاقاً أن يتعرض للأشباح، ولكنه يهاجم بوحشية كل من يحاول الخروج...⁽¹⁾.

في المقابل نجد ما قام به الشيخ الثالث إذ سحر زوجته إلى بغلة انتقاماً لما فعلته به وذلك بمساعدة ابنة الجزار بحيث طلبت منه أن يرشها بالماء عندما تنام في فراشها لكي تصير كما يريد، ففعل ذلك وقال لها "أخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة"⁽²⁾، وفعلاً تحولت إلى بغلة.

نلاحظ في هذه الحكاية أن التحولات التي حدثت تحول الشخصيات الآدمية إلى حيوانات-تحدث باستعمال الماء وطقوس وتعويذات، تقوم بها نساء تعلمن السحر.

حكاية الصيد مع العفريت

نجد في هذه الحكاية أربعة أنواع من التحولات وهي كما يلي:

النوع الأول يتمثل في تحول الدخان الذي خرج من القمقم إلى عفريت مخيف.

النوع الثاني: ما قامت به زوجة الملك التي حوّلت زوجها إلى نصف عبد ونصف جماد، نصفه التحتاني إلى قدميه حجر ومن صرته إلى شعر رأسه بشر، انتقمت من زوجها لأنه قام بمحاولة قتل عشيقها بعدما اكتشف خيانتها له، فتكلمت بكلام لا يفهم وقالت: "جعل الله بسحري نصفك حجراً ونصفك الآخر بشراً"، فحدث ذلك فعلاً.

النوع الثالث: قامت به زوجة الملك فحوّلت أهل المدينة أسماكاً، بحيث حوّلت المسلمين إلى سمك أبيض، والماجوس إلى سمك أحمر، والنصارى إلى أزرق، واليهود إلى

¹ - أمين سلامة، الأساطير اليونانية والرومانية، د ط، د ت، ص 108.

² - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص 17.

أصفر، وقامت كذلك بتحويل الجزر الأربعة إلى جبال وأحاطتها بالبركة، وحدث كل ذلك انتقاماً من الزوج الذي حاول قتل عشيقتها.

النوع الرابع: وهي التحوّلات التي قامت بها الساحرة-زوجة الملك- لإعادة كل من حولتهم إلى حالتهم الأصلية وهي كالآتي:

قامت بإعادة زوجها الذي حوّله إلى نصف عبد ونصف حجر إلى حالته العادية بعدما تحايل عليها الملك الذي قدّم من المدينة المجاورة، والذي قرر مساعدة الشاب رافة عليه، فطلب من الساحرة أن تعيده إلى حالته الأصلية، وامتنلت هي للأمر اعتقاداً منها أن عشيقتها هو الذي طلب منها ذلك "فأخذت طاسة وملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلي بالقدر ثم رشته منه فقالت بحق ما تلوته أن تخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى، فانفض وقام على قدميه".⁽¹⁾

كما أعادت الأسماك والجزر الأربعة إلى حالتهم الأصلية بعدما أخذت من البركة قليلاً من الماء وتكلمت عليه بكلام لا يفهم، فتحرك السمك ورفع رأسه وصاروا آدميين في الحال. ونجد التحوّل إلى سمك في الأساطير القديمة كأسطورة "بنات مينياس": أن هناك حكاية ديركيتس البابلية التي يعتقد شعب فلسطين أنها تحوّلت إلى سمكة تسبح في إحدى البحيرات بعدما أصبحت أطرافها حراشف...، أو قصة حورية الماء التي كانت تحول الرجال أسماكاً صماء بتعويضاتها وبأعشاب قوية...⁽²⁾

حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل"

نجد في هذه الحكاية ثلاثة تحوّلات وجاءت على النحو التالي:

قامت جوهرة ابنة الملك السمندل بسحر بدر باسم ابن الملكة "جلنار إلى طائر من أحسن الطيور بعدما ضمته وتكلمت بكلام لا يفهم وتفلت في وجهه وقالت له: "أخرج من

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص25، 26.

² - أوفيد، المرجع السابق، ص94.

هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين".⁽¹⁾ وذلك انتقاماً منه لأنه السبب في كل ما حدث لها ولوالدها ومملكته.

نجد من جهة أخرى ما فعلته الملكة "لاب"-وهي ملكة لإحدى الجزر- بحيث كانت تسحر كل من كان يعجبها من أهل مدينتها إلى حيوانات، وكذلك زوار جزيرتها من الرجال، وذلك بعد أن تعاشر كل واحد أربعين يوماً ثم تقوم بسحره، ومنهم أيضاً زوجها الذي سحرته إلى طائر أسود لأنه نظر إلى جارية، وكانت تتحوّل إلى طائر كلما أرادت مجامعته.

قام بدر باسم بمساعدة الشيخ البقال بسحر الملكة لاب إلى بغلة، وذلك بعد ما أكلها من السوق الذي أعطاه إياه الشيخ، فبعد أن أكلت من ذلك السوق قام برشها بماء وقال لها "أخرجي من هذه الصورة البشرية إلى صورة بغلة زرزورية" فصارت كذلك وأمره الشيخ أن يضع لها اللجام وألاً يسلمه لأي كان وغادر بها المدينة.

رجعت الملكة لاب إلى حالتها الأصلية بمساعدة أمها بعدما اشترت البغلة من بدر باسم ونزعت عنها اللجام وحضنتها "وأخذت في يدها ماء ورشتها به وقالت يا ابنتي أخرجي من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها، فانقلبت في الحال وعادت إلى صورتها الأولى".⁽²⁾

قامت الملكة لاب بسحر بدر باسم إلى طائر من أقبح الطيور، وذلك انتقاماً منه لما فعله بها، بحيث أخذت ماء ورشته به وقالت له "أخرج من هذه الصورة التي أنت فيها إلى صورة طائر قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور"⁽³⁾، فتحوّل في الحال إلى طائر.

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص 39.

² - المرجع نفسه، ص 50.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عودة بدر باسم إلى صورته الأصلية بمساعدة والدته الملكة "جلنار"، بحيث أخذت ماء بيدها ورشته به وقالت له: "أخرج من هذه الصفة إلى الصفة التي كنت عليها، فلم تُتمم كلامها حتى انتفض وصار بشرا كما كان."⁽¹⁾

نلاحظ أن التحوّل إلى طائر يتكرر في الحكاية بكثرة، فالطائر شغل تفكير الإنسان منذ القديم، بحيث نجده في معظم الأساطير القديمة، كأسطورة "الإغريق في أوليس ربة الشهرة" أين تحول ساكوس ابن بريام إلى طائر يحلق بجناحين في الأجواء.⁽²⁾

وكذلك نجد في رواية الحمار الذهبي (التحوّلات)، تحول بنيفيلة إلى بومة بعدما دهنت كل جسمها بمرهم وأسرت بالمصباح كلام كثير ثم انتفضت فجأة وهزت أطرافها ثم تحولت إلى بومة.³

نلاحظ في حكاية بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل هذه أن التحوّلات التي حدثت ناتجة عن طقوس وتعويدات سحرية، ويتم فيها استعمال الماء بكثرة.

تعددت وتنوعت التحوّلات الموجودة في الحكايات الثلاثة: حكاية التاجر مع العفريت والصياد مع العفريت وحكاية بدر باسم وبنت الملك السمندل، حيث تتحول الشخصيات الآدمية إلى حيوانات، إما أرضية كالعجل، والبقرة، والكلب...، وإما مائية كالأسماك، وكذلك حيوانات مجنحة كالطيور، ونجد كذلك تحول الشخصيات إلى جماد مثل الشخصية الآدمية إلى حجر والجزر إلى جبال. جميع هذه التحوّلات لا تحدث عبثاً بل عن طريق طقوس وممارسات سحرية يقوم بها الساحر أو الكاهن ليؤثر على الضحية، وذلك إما بدافع الغيرة وهذا ما رأيناه في حكاية التاجر مع العفريت عندما سحرت زوجة التاجر الأولى ضررتها إلى بقرة وابنها إلى عجل، وقد يكون كذلك بدافع الانتقام، فمثلاً في حكاية "التاجر مع العفريت"

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص51.

² - ينظر أوفيد، المرجع السابق، ص255.

³ - لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي (التحوّلات)، ترجمة: عمار الجلاصي، د ط، 2000، ص73.

سحر الشيخ الثالث زوجته إلى بغلة بسبب خيانتها له، وكذلك في حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل" سحرت جوهرة بدر باسم إلى طائر، لأنه كان السبب في كل ما حصل لها ولوالدها. كما يمارس السحر أيضا بدافع الخوف، نجد ابنة الراعي التي سحرت زوجة التاجر الأولى إلى غزالة خوفا من مكرها، ونجد كذلك زوجة الشيخ الثالث التي سحرت إلى كلب، وذلك خوفا منه بعد خيانتها له.

تتكرر كلمة السحر في هذه الحكايات، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أن التحوّل يحدث عن طريق السحر وذلك بممارسة بعض الطقوس.

تعود هذه الممارسات السحرية إلى الطقوس البدائية التي كان الإنسان البدائي يمارسها، وذلك لتفسير الظواهر التي كانت تشغل تفكيره والتي يجهل معطياتها المنطقية ويقف عاجزا أمامها، فلجأ إلى السحر لمواجهة غضب الطبيعة وما فيها من كوارث طبيعية، والليل والنهار، والشمس، وكذلك الحيوانات... الخ،⁽¹⁾ فكانت تمارس الطقوس السحرية من طرف كبار القبائل وكهانها، إما فردية أو جماعة.

يرى "ميرسيا إلياد" أن بداية الطقوس السحرية تعود إلى الشعائر التي كان يقوم بها صيادو العصر الحجري، فقد كانوا يحافظون على حياة الحيوانات، ولا يصطادون منها إلا ما هم بحاجة إليه لغذائهم، وكانوا يحتفظون بالعظام وخاصة الجمجمة لأنها ذات قيمة شعائرية، ففي اعتقادهم أنها تضم الروح والحياة للحيوان، فبفضلها يقوم رب الحيوانات بخلق حيوان آخر من تلك العظام، فهذه الطقوس الشعائرية شبيهة بالدين رغم أنها لا تحمل معنى القدسية،⁽²⁾ فمن هنا يمكننا القول أن السحر مرتبط بالدين، فنجد ذلك في حكايات "الف ليلة وليلة"، فرغم ممارسة السحرة للسحر إلى أنهم يؤمنون أن ذلك يحدث بقدرة الله تعالى فمثلا في حكاية "التاجر والعفريت" عندما فكت بنت الراعي السحر عن الولد الذي سحر إلى عجل

¹- ينظر: جيمس فرايز، المرجع السابق، ص 91.

²- ينظر: مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، الشام، ط1، 1986/1987، ص 21.

قالت: إن كان الله خلقك عجلاً فدم على هذه الصورة ولا تتغير وإن كنت مسحوراً فعد إلى خلقك الأولى بإذن الله تعالى⁽¹⁾. وكذلك جاء في حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل" لما أعادت الملكة بدر باسم إلى حالته الأصلية قالت "بحق هذه الأسماء العظام والآيات الكرام وبحق الله تعالى خالق السماوات والأرض ومحبي الأموات، وقاسم الأرزاق والآجال أن تخرج من هذه الصورة التي أنت فيها وترجع إلى الصورة التي خلقك الله عليها"⁽²⁾ ونلاحظ من خلال هذه الحكايات أن استعمال الدين-ذكر الله-يرتبط بالمواقف الخيرية أي المواقف التي يبطل فيها الشر. فرغم تطور الدين من تعدد الآلهة إلى عقيدة التوحيد نجد السحر إلى جانب الدين، فحسب رأي "هربرت سبنسر" "أن السحر يحدد نموذجاً بدائياً للدين يقوم على العلاقات المتجانسة وعبادة الأسلاف ولكنه كممارسة قابل للتكيف مع تطور الدين، بحيث يستطيع الدين والسحر التعايش معاً."⁽³⁾ وهذا ما رأيناه من خلال حكايات ألف ليلة فرغم تطور الدين والفكر البشري إلا أننا نجد الإيمان بالسحر لا يزال موجوداً حتى في المجتمعات المتقدمة.

رغم اختلاف بعض العلماء الأنثروبولوجيين في بعض المبادئ إلا أن موقفهم من السحر واحد، فيرى "جيمس فرايزر" أن الفكر الإنساني مر بثلاث مراحل بداية من السحر إلى الدين ثم العلم، فجميع الشعوب على اختلاف ثقافتها تحقق التقدم في نهاية المطاف، ولقد أشار إلى أن السحر جاء قبل الدين، فالدين إيمان بقوى أعلى من قدرة البشر، فهو نشأ عن إدراك أن السحر قد فشل، إلا أن الطقوس والصلوات المصاحبة للدين هي من طبيعة العزائم السحرية وتطورت ودخلت في صلب الدين⁽⁴⁾، فقد سبقه "تايلور" للحديث عن الدين والسحر فميز بينهما، فالدين يركز في الاعتقاد على وجود كائنات روحية، وهذه الأرواح

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص12.

² - المرجع نفسه، ص42.

³ - أوين ديفيز، السحر، ترجمة رهاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة/مصر، ط1، 2014، ص20.

⁴ - ينظر: جيمس فرايزر، المرجع السابق، ص77.

يمكن تقييدها عن طريق "الفتشية" أي التعبد لتلك الأشياء التي تسكنها الأرواح، أما السحر يرتكز على التماثل والارتباط في الأشياء التي تشبه بعضها البعض في الفكر السحري يعتقد بأنها متصلة سببياً أحدهما بالآخر وباستخدام بعض الأساليب السحرية المعينة، فمن الممكن أن تتأثر تلك الأشياء بما يماثلها، وبالتالي فالسحر مثل العلم لكنه يرتكز على تعاليل باطلة، فقد أطلق تايلور على هذا العلم مصطلح العلم الزائف لوصف السحر.⁽¹⁾ فأول علم عرفه الإنسان هو السحر، ثم بدأ عقله ينمو، وينضج.

ظهر الدين بعدما فشل السحر فتبين للإنسان عدم إخضاعه لتلك الترابطات الزائفة وبالتالي لابد من وجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم، فبدأت مرحلة جديدة تتميز بالتقريب من تلك القوى واجتذاب عطفها وهو الدين فتطور إلى شقين: الشق الأول اعتقادي يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة والكشف والفهم، والثاني طقسي يستهدف إرضاء الآلهة والتعبد لها،⁽²⁾ ونفهم من هذا الكلام أن الأساطير ظهرت لفهم محتوى هذا الدين وتستخدم الطقوس للتقرب من الآلهة.

فالأعمال السحرية والتعويذات والطقوس التي مورست في حكايات "ألف ليلة وليلة" والتي عن طريقها تتحول الشخصيات من طبيعة إلى طبيعة أخرى كالكلاب في الماء والرش به هي بقايا معتقدات دينية قديمة.

فيرى العالم الفرنسي "سانت بيف" أن الحكاية الخرافية هي بقايا طقوس قديمة على أية حال، فإن الدارسين والمهتمين بدراسة منشأ الخرافة والحكاية الخرافية يرون فيها جانباً أسطورياً إلا أنها تختلف عن الأسطورة بشيء من منشئها وشيء من أسلوبها الأدبي.⁽³⁾ فنتشابه الحكايات الخرافية حكايات "ألف ليلة وليلة" مع الأساطير القديمة في بعض سماتها

¹- ينظر: جاك لومبار، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص75.

²- ينظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة وبلاد الرافدين، دار الكلمة، بيروت-لبنان، د ط، د ت، ص11.

³- حسن الباش، موقف الإسلام من السحر والخرافة، د ط، دار حطيت للدراسات والنشر، دمشق، بغداد، د ت، ص60.

كالطقوس الممارسة والكلام في الماء والرش به، العفاريّة والجن. كأسطورة "جاسون وميديا"، أين قامت ميديا ببعض الطقوس لتطلب العون من الآلهة، كالدوران حول نفسها والرش بمياه النهر، وأخذت تهمهم منادية لليل والنجوم والتعاويذ السحرية، كما جمعت عقاقير وأعشاب من الجبال والأنهار...⁽¹⁾

إنّ الطقوس والممارسات السحرية هي بقايا الأساطير القديمة، انتقلت جيل عن جيل شفاهة، فمع تقدم الفكر البشري وتطور الدين تهاوت هذه الأساطير وتراجع دورها، فظهرت الحكايات الشعبية الخرافية الشبيهة لتلك الأساطير في بعض الجوانب، والمخالفة لها في العقيدة الدينية-من تعدد الآلهة إلى عقيدة التوحيد.

¹ - أوفيد، المرجع السابق، ص155.

المبحث الثالث: التحوّل في الحكاية الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة "مقاربة أنثروبولوجية مقارنة"

تتشابه الحكايات الشعبية في أحداثها رغم اختلاف الثقافات وتباعد المسافات، وقد يعود ذلك إلى عيش تلك المجتمعات للأحداث نفسها. ومن أهم نقاط تشابه الحكايات على المستوى العالمي والعربي والمحلي ظاهرة تحول الشخصيات. وسندرس هذه الظاهرة دراسة مقارنة بين الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة، محللين نقاط التشابه ونقاط الاختلاف.

1- التحوّل: أوجه التشابه بين الحكاية الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة

تتشابه الحكايات القبائلية بحكايات ألف ليلة وليلة في ظاهرة تحوّل بعض الشخصيات الإنسانية إلى حيوانية، ففي الحكايات القبائلية نجد تحوّل الولد إلى تيس، وكذلك تحوّل الإخوة السبعة إلى طيور، أما في حكايات ألف ليلة وليلة نجد تحوّل ابن التاجر إلى عجل وأمه إلى بقرة، وكذلك زوجة التاجر الأولى إلى غزالة، وتحوّل أخوي الشيخ الثاني إلى كلبتين، وزوجة الشيخ الثالث إلى بغلة، وفي حكاية الصياد والعفريت تحوّل الشاب إلى نصف عبد ونصف حجر، تحوّل أهل المدينة إلى أسماك، أما في حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وابنة الملك السمندل" نجد تحوّل بدر باسم إلى طائر، والملكة لاب إلى بغلة.

وتتشابه الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة أيضا في احتفاظ بعض شخصياتها الإنسانية -بعد تحوّلها إلى حيوان- ببعض سمات وخصائص جنسها التي كانت عليه قبل التحوّل، ففي حكاية "بقرة اليتامى" القبائلية، بعدما تحوّل الولد إلى تيس احتفظ بخاصيته الإنسانية المتمثلة في العقل والإدراك وبقي يتواصل مع أخته بالكلام، وتجسد ذلك في حديثه مع أخته التي سقطت في البئر بحيث قال لها: "أوتما ذ فافا ذ يما أمان أّسوزافن أكل أيسمساذ أجنويس إوكن أيزلون".⁽¹⁾ بمعنى يا أختي من أبي وأمي، الماء يغلي، والجزار يحضر سكينه لذبحي.

¹ - حكاية بقرة اليتامى

وفي حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وابنة الملك السمندل"-من حكايات ألف ليلة وليلة- نجد بدر باسم بعدما تحوّل إلى طائر بقي محتفظا ببعض صفاته الإدراكية وحاسته الذوقية كإنسان فكان يأكل من غذاء وطعام البشر ويشرب خمورهم، وتجسد ذلك في " فلما نظر الطير إلى اللحم والحلويات والفواكه أكل من جميع ما في السماط الذي قدام الملك".⁽¹⁾ يمكننا أن نفهم بأن التحوّل إلى هيئة أخرى هو انفصال بين الجسد والوعي أو العقل، فالهوية البشرية حاضرة في الممسوخ رغم التغير في الشكل الخارجي للشخصية، فالمتحوّل يعيش بين ثنائية (الانفصال/ الاتصال).⁽²⁾

ومن التشابهات بين الحكايات -القبائلية والعربية- استعمال الماء كسبب رئيسي في حدوث التحوّل حيناً، أو كمساعد في حدوثه حيناً آخر. ففي الحكاية القبائلية "بقرة اليتامى" تحوّل الولد إلى تيس عندما شرب من النبع، وفي حكاية أخرى "منفية إخوتها السبعة"، تحوّل لون بشرة الفتاتين بعدما غسلتا من النبع. ففي كلتا الحكايتين كان الماء هو السبب في حدوث التحوّل.

وإذا انتقلنا إلى حكايات ألف ليلة وليلة، نجد تشابها في استخدام الماء لإحداث التحوّل، ففي حكاية التاجر مع العفريت تكلمت زوجة التاجر في الماء ورشته به فتحوّل إلى كلب، ونجد أيضاً الشيخ الثالث الذي قام برش زوجته بالماء وقال لها أخرجي من هذه الصورة التي أنت عليها إلى صورة بغلة فتحوّلت في الحال⁽³⁾، وفي حكاية بدر باسم لما حول الملكة "لاب" إلى بغلة بعد أن أكلها من سويقه وقام برشها بالماء وقال لها أخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة فتحوّلت في الحين، وكذلك لما أعادتها أمها إلى صورتها البشرية قامت برشها بماء وقالت لها يا ابنتي أخرجي من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها فعادت

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص41.

² - ينظر: نبيل حمدي الشاهد، المرجع السابق، ص371.

³ - ينظر: ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص14.

إلى صورتها في الحال، وقامت الملكة لاب وأخذت ماء ورشت به بدر باسم وقالت له: أخرج من هذه الصورة التي أنت فيها إلى صورة طير قبيح المنظر، فتحول إلى ذلك⁽¹⁾.

ولا تقتصر ظاهرة الرش بالماء على الثقافة الشرقية فقط، "والطريف أن رش الماء وما له من مقدرة سحرية لا يقتصر على الحكايات الشرقية، ففي الأساطير الإغريقية، تعتمد الإلهة (ديانا) إلى تحويل (اختيون Actaeon) إلى غزال، لأنه رآها تستحم عارية وذلك بأن رشت على وجهه قليلا من الماء الذي كانت تستحم به"⁽²⁾.

ومن أوجه التشابه أيضا تحول الشخصية الآدمية إلى طائر في كلتا الحكايات، ففي حكاية "منفية إخوتها السبعة" -القبائلية- نجد تحول الإخوة السبعة إلى طيور، وفي حكاية أخرى "بقرة اليتامى" شهدنا تجسد روح الأم في هيئة طائر، كما نجد في حكايات ألف ليلة وليلة "حكاية بدر باسم ابن الملك شهرمان وابنة الملك السمندل" الذي تحول إلى طائر على مرتين، في المرة الأولى تحول إلى طائر من أحسن الطيور، أما في المرة الثانية تحول إلى طائر من أقبح الطيور. وقد يدل ذكر الطائر في كلتا الحكايات على مكانته لدى الشعوب، والطائر بصفة عامة لديه دلالات رمزية مختلفة باختلاف نوعه، واختلاف مكانته في الثقافات.

ونجد أيضا في تراثنا القبائلي حكايات أخرى عن تحول الشخصيات إلى طيور، كحكاية "زلقما" التي تحولت إلى حمامة، و"الحافلة برواسب المعتقدات الدينية الغابرة كالإحيائية وعقيدة عبادة الأولياء التي يجسدها رمز الحمام المرتبط كثيرا بعالم الأموات الأحياء. وكثيرا ما نسمع عن أخبار الأولياء الصالحين الذين يتحولون إلى طيور. فالشيخ

¹ - ألف ليلة وليلة، المرجع السابق، ص 50.

² - بشينة الناصري، الحكاية الشعبية (دراسة وتحليل)، ناشرون، جمهورية مصر العربية، د ط، 2017، ص 57.

محمّد أولحسين يتحوّل إلى باز وحمام، ولالة خديجة تتحوّل إلى حمامة كل وقت صلاة لتطير وتصلّي ببيت الله بمكة وترجع فتسترجع هيئتها الإنسية⁽¹⁾.

وأما عن تجسّد الروح في كائن آخر حسب ما يرى مرسيا إلياد فهو معتقد ديني بحيث يقول: "أما بالنسبة للاعتقاد بالتقمص *Métempsychose* فإن الإيضاح التقدمي من قبل سيزار مبدأ «هو أنه بصورة خاصة مناسب لإثارة الشجاعة مزيلا الخوف من الموت». وهو بكل بساطة التفسير العقلي لعقيدة في استمرارية حياة الروح... ويقرر ديودور الصقلي «أن أرواح البشر هي خالدة وترجع في عدد من السنين إلى جسد آخر»⁽²⁾. فباعتبار الحيوانات الأليفة قريبة للإنسان، قد تتجسد روحه بعد موته في تلك الحيوانات التي كانت تعيش معه، "إن الصيادين البدائيين يعتبرون الحيوانات مشابهة للبشر ولكنها ممهورة بقدرات فوق طبيعية، وهم يعتقدون أن الإنسان يمكن له أن يتحوّل إلى حيوان وبالعكس، وأن أرواح الموتى يمكنها الدخول في الحيوانات، وفي النهاية توجد علاقة سرية بين شخص وحيوان فردي»⁽³⁾.

ومن نقاط التشابه الأخرى ذكر البقرة في كل من الحكايات، في حكاية بقرة اليتامى – القبائلية-، وفي حكاية التاجر مع العفريت –من حكايات ألف ليلة وليلة-، ففي الأولى تجسّد روح الأم في البقرة، وفي الثانية تحوّل زوجة التاجر إلى بقرة.

2-التحوّل: أوجه الاختلاف بين الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة

أهم النقاط التي تختلف فيها الحكايات القبائلية مع حكايات ألف ليلة وليلة:

تختلف حكايات ألف ليلة وليلة عن الحكايات القبائلية في وجود عدة تحولات في تلك الحكايات لم تذكر في الحكايات القبائلية وهي على النحو التالي: التحوّل إلى بغلة، والتحوّل

¹ - زهية طراحة، الحكاية العجيبة وحكاية الأحزمة بقرى منطقة القبائل-مقاربة إثنولوجية-: (Revue Science and vidéo. Des écritures multimédia en sciences humaine. N8. Varia. Liée à l'université de Provence. France 2015.

² - مرسيا إلياد، المرجع السابق، ج2، ص166.

³ - المرجع نفسه، ج1، ص20.

إلى عجل، والتحوّل إلى كلب، والتحوّل إلى غزالة، وهناك تحوّل مخالف تماماً لما يرد في الحكايات القبائلية وهو التحوّل إلى سمك.

ظاهرة تحول الشخصيات في الحكايات القبائلية هي ظاهرة عادية لا تحدث بفعل السحر، ويقول الرواة على أنها تحدث بقدرة الله تعالى، فمثلا في حكاية بقرة اليتامى تحوّل الولد إلى تيس بعد شربه من نبع الحيوان، فهم يؤمنون أن ذلك النبع وجد بتلك الصفة من عند الله، فبقدرته عندما يشرب منه الإنسان يتحوّل إلى حيوان، وكذلك بالنسبة للتحوّل في لون بشرة الفتتين في حكاية منفية إخوتها السبعة. والينابيع معروفة منذ القدم في مختلف الثقافات، بحيث كانت هناك بعض الينابيع تقام لها طقوس، باعتبارها مولدة للحياة والخصب، وهناك بعض منها موهوبة بقدرة التجديد والشفاء، وكانت تجتذب إليها حجاجا ومرضى كانوا يقدمون لها نذورا، وغالبا ما كانت هذه الينابيع تسمى بأسماء الربات الأمهات كـ ماتروني Matrae ou Matronae، أو لربة شافية، مثل دامونا (Damona) أو سيرونا (Sirona) ...، وكانت بعض الينابيع أماكن للعبادة، ومن بينها النبع الروماني «نيموزوس» في «نيمس» المسمى معبد ديانا. ومن أكثرها أهمية ينبوع «دزاقوان» في تونس الذي كان يغذي قرطاجة الرومانية⁽¹⁾.

وفي حكايات ألف ليلة وليلة تحدث ظاهرة التحوّل بفعل السحر، فيكون فيه دائما ذكر للساحر (أو الساحرة)، وعلى أنه تعلم السحر والكهنة منذ الصغر، وفيه ذكر للسحرة كملوك، وهذه الظاهرة-السحرة كملوك-معروفة منذ القدم، فحسب الدراسات التي قام بها فرايزر يقول أنّ معظم الشعوب القديمة كان يترأسها مجموعة سحرة ومنهم قواد، ومنهم من يقوم بالحرص على تأمين الأكل لأهل قبيلتهم ومنهم من يحرص على إنزال المطر وكل ذلك عن طريق السحر. وهناك أدلة كثيرة تبين أن صانع المطر هو الذي تحوّل إلى قائد، فمثلا من بين

¹- ينظر: فيليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص355/356.

وإمبوغوي وهم أهل باننتو في أفريقيا الشرقية كان الشكل الجوهري للحكومة هو جمهورية العائلة لكن سلطة السحرة الهائلة التي انتقلت بالوراثة سرعان ما رفعتهم إلى مصاف ملاكين صغار أو قواد.⁽¹⁾

تدل هذه الأمثلة على أن الساحر العام وصانع المطر على وجه الخصوص تحول إلى ملك في إفريقيا. فالرهبة التي يفرضها الساحر والثروة التي يكسبها من مهنته ساهما في الرفع من شأنه⁽²⁾. وفي ساحل الحبوب تقع مسؤولية صحة المجتمع على الكاهن الأكبر وكذلك مسؤولية خصوبة التربة ووفرة السمك في البحر والأنهار.⁽³⁾

ومن أسباب اللجوء إلى السحر اعتباره كوسيلة للدفاع عن النفس، فمثلا في حكاية التاجر والعفريت قامت ابنة الراعي بسحر زوجة التاجر إلى غزالة خوفا منها ولتأمين نفسها من مكرها. وكذلك في الحكاية نفسها نجد ابنة الجزار ساعدت التاجر كي يسحر زوجته إلى بغلة حماية لنفسه منها. كما يستعمل أيضا كوسيلة لتحقيق أهداف شريرة والانتقام من الآخرين، ففي حكاية بدر باسم سحرت الملكة لاب كل من عاشرتهم من الرجال إلى حيوانات حبا في تملكهم، وكذلك لما حوّلها بدر باسم بمساعدة الشيخ إلى بغلة انتقاما منها لما حاولت فعله به ولما فعلته بالرجال الآخرين من قبله.

تختلف طريقة حدوث ظاهرة تحوّل الشخصيات الآدمية إلى حيوانية من الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة، فالحكايات القبائلية خالية من تلك الطقوس التي تقام لحدوث عملية السحر، وفي حكايات ألف ليلة وليلة، فيحدث فيها التحوّل عن طريق ممارسة طقوس سحرية تتمثل في الكلام في الماء والرش به، أو عن طريق البصاق، ونجد أيضا أكل من السويق والرش بالماء... الخ، فهذه كلها عبارة عن طقوس وممارسات يقوم بها الساحر للتأثير على من يرغب به.

¹ - ينظر: جيمس فرايزر، المرجع السابق، ص122.

² - المرجع نفسه، ص124.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص125.

ومثل هذا الفعل أو الطقس نجده في الثقافة الإسلامية وهو التداوي بالقرآن والهدف منه هو الخير وإبعاد الأذى والشفاء من بعض الأمراض التي تصيب الإنسان بفعل أخيه الإنسان أو بفعل الجنّ، مثل الشفاء من العين الحاسدة، والسحر، والمسّ...، بحيث يقوم الراقي بتلاوة بعض الآيات القرآنية في الماء أو الزيت أو ما شابه ذلك وينفخ فيها ثلاث مرات، ويقوم المريض بالشرب من ذلك الماء أو بالغسل به.

وتختلف أيضا هذه الحكايات في شخصيتي الغولة والعفريت، بحيث صادفتنا شخصية الغولة في الحكاية القبائلية "حكاية منفية إخوتها السبعة"، التي كانت السبب في تحوّل الإخوة إلى طيور، وتعرف الغولة بضخامتها وبشكلها المخيف وقوتها أيضا. ففي هذه الحكاية رغم موت الغولة إلا أن شرها ولعنتها بقيت في رمادها والذي بسببه تحول الإخوة إلى طيور. أما في حكايات ألف ليلة وليلة نجد شخصية العفريت وهو ذو شكل مخيف، ويذكر في بعض الحكايات على أنه من الجنّ كحكاية التاجر والعفريت، كما له قدرات سحرية كالطيران، والتحوّل إلى شكل دخان.

3-رمزية الحيوانات التي حوّلت إليها الشخصيات الآدمية

3-1-رمزية الحيوانات الأرضية:

البقرة:

تعتبر البقرة حيوانا مقدسا في بعض الثقافات القديمة مثل الحضارة المصرية، بحيث أن "أكثر ما مثل الفن المصري، البقرة المقدسة، أيضا: فهي الربة «حانور» الحامية للفرعون، أو مرضعته لكي تنفث فيه اللبن الإلهي، وحياة الآلهة نفسها.⁽¹⁾

و"حظيت البقرة في الهند بأسمى مكانة وهي من المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها مع مرّ السنين وتوالي القرون ففي الفيدا حديث عن قدسيتها والصلاة لها. ولا تزال

¹ - فيليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سورية، ط1، 1992، ص54.

البقرة حتى الآن تحتفظ بهذه القدسية ففي الأدب المنسوب للمهاتما غاندي تفسير لما حظيت به البقرة قديما وحديثا من نفوذ ديني⁽¹⁾.

الثور (العجل):

" غالبا ما كان الثور في الفن القديم رمز القوة والقدرة، وذلك منذ عصر ما قبل التاريخ ... الثور الممثل للملك وهو يدحر عدوا ويرمز للقوة، ولكنه وبصورة خاصة رمز للخصب. وقد كان الثور "آبيس" منذ عهد الأسرة الملكية المصرية الأولى، الإله الزراعي رمز التوالد والقوة المخصبة وكان موضوعا للعبادة ... وكان هذا يحنط عندما يموت"⁽²⁾.

ونجد أيضا الثور في الأناضول كعلامة للخصب حيث هو رمز لإله العاصفة كما نجد هذا لدى الكثير من شعوب آسيا الغربية التي كان لها في الأصل ديانة أسيانية بدائية شائعة عندهم... وتبعا أصبح الثور أيضا رمزا في كل حضارات عالم البحر المتوسط تقريبا⁽³⁾.

الكلب:

هو الشكل الذي يتقمصه الإله «أنوبيس» عند المصريين.

والكلب حيوان غير طاهر في الشريعة الإسلامية وبعضهم يمجده حيث يقولون بأنه كان يرافق محمدا عند دخوله مكة... فهو رمز الوفاء. وعند شعوب السلت، كان الكلب على الأغلب حيوان الموتى، ومزال يعرف حتى يومنا في الخرافات الإيرلندية بالشيطان بل بمفترس الجيف⁽⁴⁾.

¹ - أحمد شلبي، مقارنة الأديان -أديان الهند الكبرى-الهندوسية الجينية والبوذية، دار النشر مكتبة النهضة المصرية، ط11، 2000، ص28.

² - فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص49.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص50.

⁴ - نفسه، ص74-75.

التيس:

يعتبر التيس في البحر الأبيض المتوسط رمزا للخصب، بحيث يتكرر أحد الرجال في صورة تيس أثناء حصاد القمح وهو في ذلك يمثل البداة والطبيعة البرية، ويمثل الآخرون الذين يجنون القمح الأرض المستثمرة والاستقرار، ويتظاهرون بقتل التيس وربطه مع جراب من القمح وذلك من أجل البذور التي سوف تأتي.⁽¹⁾

والتيس في الثقافة القبائلية هو حيوان يربيه الإنسان على أنه مصدر رزقه، ويقومون بذبحه في المناسبات، كما يستعمل في بعض الأحيان للشفاء من بعض الأمراض، كإخراج الجن من جسم الإنسان، فيقوم أهل المريض بذبح التيس من أجل ذلك، ويطهى جزء منه للمريض ليأكله والباقي يدفن كما هو بعيدا عن مسكنهم.⁽²⁾

3-2- رمزية الحيوانات المجنحة:

الطيور:

يقول مرسيا الياد حول رمزية الطيور أنه "يجب أن يأخذ دائما في الحسبان التجربة البدئية لقداسة السماء والظواهر السماوية والفضائية. إنها واحدة من التجارب النادرة التي تظهر عفويا /العظمة/ والسمو. إضافة لذلك الصعودات الوجدية للشامان، ورمز الطيران والتجربة الخيالية للارتفاع بصفته تحررا من الثقل، كل ذلك يؤدي إلى تكريس الفضاء السماوي كمنبع ومستقر ممتاز للكائنات الما فوق بشرية: آلهة، أرواح، أبطال محضرين"⁽³⁾

الحمام:

الحمامة رمز السلام، منذ مشهد سفينة نوح حيث كانت الحمامة الممسكة بمنقارها غصن الزيتون رسول السلام.⁽⁴⁾

¹ - ينظر: فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص 74-75.

² - عن عبة الجوهري

³ - مرسيا إلياد، المرجع السابق، ج 1، ص 41.

⁴ - فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص 189.

ويرمز الحمام عند المسيحيين بالأرواح المتعطشة لماء الإله الحي، وعلى الروح الصاعدة للفردوس، كما تدلّ أيضا على روح القدس التي ترفع الروح حتى التثليث، وهناك رسومات تمثل كل هذه الدلالات.⁽¹⁾

وفي الثقافة القبائلية يعتبر "الحمام رمز لروح الأولياء الذين يبعثون ويرجعون غالبا في هيئة حمام. فرمزيته تتمثل في الانبعاث والتجدّد، كما يرمز أيضا للزمن والعودة الأبدية والخلود.⁽²⁾ والحمام في الثقافة الإسلامية "طائر مقدس، وذلك لأنه السبب في نجاة الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار في الغار."⁽³⁾

3-3-رمزية الحيوانات المائية:

الأسماك:

إن سمك النيل النهري الفرخ (la preche)، أو لاتيس (latés) هو رمز الخصب، وشارك في طقس النيل أثناء الفيضان... وهناك سمكة أخرى، تيلابيانيلوتيكا، ترمز للميت في مسيرته نحو البعث، ويرى بعض الباحثين أن السمك موصل أرواح، يعمل على اجتياز أرواح الموت للنهر لتنتقل للمقر الأبدى.⁽⁴⁾

ويرمز السمك في عالم البحر المتوسط في العصر الوثني على الخصب والسعادة، بحيث يعتبر كحام من العين الشريرة، ولحد الآن ليزال رمزا علاجيا مقبولا من قبل بعض الأهالي وبالأخص في تونس، بحيث يقومون برسم أو نحت شكل السمكة على أبواب البيوت أو داخلها، وذلك تجنباً للعين والحسد.⁽⁵⁾

¹ - ينظر: فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص190.

² - ينظر: زاهية طراحة، الحكاية العجيبة وحكاية الأحزمة بقرى منطقة القبائل، المرجع السابق.

³ - عبة الجوهر، قرية سيدي علي موسى /معائقة/ تيزي وزو.

⁴ - فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص208-209.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص210

والملاحظ أن الأسماك الواردة في الحكاية ذات ألوان مختلفة، فما هي رمزية هذه الألوان؟

رمزية الألوان:

الأحمر: لون النار ولون الدم، إذن الحياة. ويرمز للعشق الإلهي والحب البشري، وذلك لكون العاشق يضحي بدمه وحياته من أجل محبوبه، فهو لون الشهيد.

والأحمر عند المسيح هو ذو رمزية قربانية فهو لون دم المسيح ولون الخمر اللذان خلطا في مصر صوفي. واللون الأحمر ليس ذو رمزية خيرة فقط بل يمكن له أن يكون ذا رمزية شريرة: فالشيطان إذا لم يكن باللون الأسود يكون عادة باللون الأحمر.⁽¹⁾

ويعود تخصيص الساحرة الماجوس باللون الأحمر لأنهم يعبدون النار.

الأصفر: يعتبر اللون الأصفر لون الآلهة المرتبطة بالشمس، ويمثل أيضا لون السنابل الناضجة ولون دوار الشمس، كما أنه لون الذهب، فهو بذلك رمز للخلود.⁽²⁾

واللون الأصفر في الثقافة العربية -العالمية- يرمز للبؤس والذبول كونه لون فصل الخريف وتساقط الأوراق، وهو أيضا لون الغيرة والحسد ولون الحذر والخيانة.⁽³⁾

وقد يعود تمييز الساحرة اليهود باللون الأصفر باعتباره رمز للبيئة الصحراوية التي كان يعيش فيها اليهود.

الأبيض: يعتبر اللون الأبيض رمزا للطهارة والاستقامة والعدالة وإشعاع الخير، وهو أيضا رمز للنور.⁽⁴⁾

¹- ينظر: فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص425.

²- ينظر المرجع نفسه، ص427.

³- ينظر: بن صالح، الإبداع والتذوق والجمال، دار دجلة، عمان الأردن، ط1، 2008.

⁴- ينظر: فيليب سيرنج، المرجع السابق، ص428.

ارتبط اللون الأبيض بالمسلمين منذ عهد سيدنا سليمان عليه السلام، ويرمز هذا اللون للصفاء والطهارة وما ينسجم مع كل ذلك كالملائكة والسموات.⁽¹⁾ وكما هو معروف أن الأبيض هو لون الإسلام والمسلمين، لذلك خصت الساحرة المسلمون بهذا اللون.

الأزرق: يرمز اللون الأزرق إلى الصفاء الذهني والتفكير وهذا نابع من الرمزية المسيحية، وتصور السيدة مريم لدى المسيحيين في الرسومات بالرداء الأزرق،⁽²⁾ وقد يدل ذلك على رمزية ذلك اللون المتمثلة في الصفاء والنقاء.

ارتبطت العقيدة النصرانية بالسماء، إذ أنهم يلقبون مريم العذراء "بملكة السماء"، التي اعتبروها والددة الإله، ولها المجد في الأرض والسماء. وقالوا عن اليسوع أنه صعد إلى السماء.⁽³⁾ وكون السماء ذات لون أزرق، يمثلون ملكة السماء وكل من لهم علاقة بالسماء أو الإله باللون الأزرق، ولهذا لما حولت الساحرة أهل المدينة إلى سمك خصت النصرى باللون الأزرق.

والم تأمل في التحوّلات الواردة في الحكايات الشعبية المدروسة، يلاحظ أنها حدثت في أغلبها باستعمال الماء، فما هي رمزيته؟

- رمزية الماء:

ورد استعمال الماء في الحكايات بكثرة، وقد يعود ذلك لأهميته، فهو عنصر أساسي في حياة الإنسان خاصة وحياة الكائنات عامة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾. كما جاء في آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ...﴾⁽⁵⁾، أي أن بفضل الماء كل شيء حي، ففي

¹ ينظر: محمد كمال جعفر، رمزية الألوان بين الأديان اليهودية والإسلام، ص 41.

² ينظر: شكري بوسعالة، رمزية الألوان من المقدس الديني إلى السياسي، قسم الدراسات الدينية، 2016، ص 10.

³ ينظر: محمد بن طاهر البيروني، تحقيق ودراسة، محمد عبد الله الشرفاوي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، جامعة القاهرة، ص 195.

⁴ سورة الأنبياء، الآية 30.

⁵ سورة النور، الآية 45.

بعض الثقافات عندما يكون هناك نقص في الماء، وعدم سقوط الأمطار تقام طقوس لنزول المطر، فمثلا في الثقافة الأمازيغية تقام طقوس من أجل ذلك ويقال لها "أنزار"، بحيث تقوم بعض النسوة بإرسال الأطفال لجمع الصدقات من بيوت القرية وفي طريقهم ينشدون: " أنزار أنزار سقيتسيد أربي أرازار"، أي أنهم يطلبون من الإله "أنزار" أن يسقي الأرض بالأمطار. وتقوم النساء بطهو الأكل من تلك الصدقات التي جمعها الأطفال ثم يوزعون الأكل على جميع أهل القرية.⁽¹⁾

¹ - عن عبة الجوهري، المذكورة سابقا.

خاتمة

رصدنا في الخاتمة أهم الملاحظات والنتائج المتمثلة فيما يلي:

- تتنوع موضوعات الحكاية الشعبية من حكايات بطولية، وحكايات تاريخية، وأخرى مرتبطة بالواقع الاجتماعي... الخ، فبالتالي لم يتفق الباحثون والدارسون على تصنيف واحد، فكل يصنفها حسب قناعاته، فعلى سبيل المثال نجد أن تصنيف عبد الحميد بورايو للحكاية الشعبية تختلف عن تصنيف نبيلة إبراهيم.

- تتشابه الحكايات الخرافية القبائلية المحلية، والعربية، والعالمية في ظاهرة تحوّل الشخصيات من هيئة إلى أخرى، فهي تتشارك في بعض الحيوانات التي تم تحوّل الشخصيات الآدمية إليها مثل: البقرة والطير... الخ.

- ظاهرة تحوّل الشخصيات من هيئة إلى أخرى ظاهرة عالميّة متواجدة في جميع الثقافات والأساطير القديمة، كما تتواجد في الحكايات الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة.

- تتنوع شخصيات الحكايات الشعبية الخرافية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة، من شخصيات آدمية مثل: الزوجة، الزوج، الأم، الابن، البنت، وحيوانية مثل: البقرة، الطير، البغل، العجل، التيس، وأخرى خيالية، مثل: الغولة، العفريت، حريات البحر... الخ

- معظم الحيوانات التي حوّلت إليها الشخصيات الآدمية في المدونتين القبائلية والعربية هي حيوانات مقدسة في الثقافات القديمة ومازالت إلى وقتنا الحالي كالبقرة المقدسة، وكذلك الطير رمز التعالي والسمو والحرية في جميع الثقافات.

- ظاهرة تحوّل الشخصيات من هيئتها الآدمية إلى هيئة حيوانية هي ظاهرة سلبية في كل من حكايات ألف ليلة وليلة والحكايات القبائلية، لكون الإنسان أعلى مرتبة من الحيوان.

- تحدث ظاهرة تحوّل الشخصيات من طبيعتها الآدمية إلى طبيعة حيوانية في حكايات ألف ليلة وليلة عن طريق السحر وذلك بممارسة مجموعة من الطقوس والتعاويذ، المتمثلة غالبا بالتمتمة في الماء والرّش به. وتحدث في الحكايات القبائليّة عن طريق اللعنة حيناً - كلعنة الغولة - وعن طريق العقيدة الإحيائية وعقيدة سلطة الأسلاف والأولياء (الأموات) كتجسّد الأمّ في هيئة طائر، وتحوّل الابن إلى تيس لعدم عمله بنصيحة أمّه الميّتة.

- وتحدث ظاهرة التحوّل (غالبا) في كلّ من حكايات ألف ليلة وليلة والحكايات القبائليّة بدافع الانتقام، والغيرة. كانتقام الساحرة من زوجها الذي قتل عشيقها، في حكاية "الصيد مع العفريت"، وانتقام الغولة من الإخوة السبعة في حكاية "منفية إخوتها السبعة"، وغيرة زوجة التاجر الأولى من الزوجة الثانية التي أنجبت له ولدا، في حكاية "التاجر مع العفريت"، وغيرة الخادمة (الآمة) من الفتاة الحرّة في حكاية "منفية الإخوة السبعة".

وتحدث أحيانا بدافع الخوف، كخوف ابنة الراعي من زوجة التاجر الأولى لإفشاء سرها، في حكاية "التاجر مع العفريت".

كما تحدث أحيانا أخرى بدافع العصيان، كعصيان الابن لروح أمّه في حكاية "بقرة اليتامى".

- تمثّل رمزيّة الشخصيات المتحوّل إليها -في حكايات ألف ليلة وليلة والحكايات القبائليّة- مثل البقرة والتيس...الخ رواسب معتقدات دينية قديمة مرتبطة بالسحر والإحيائية وتقديس الأسلاف (الآباء والأولياء).

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1. مدونة الحكايات الشفوية
2. ألف ليلة وليلة، منشورات دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، ط2، 1994.

المعاجم:

3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1994.
4. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
5. جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، دار العلم للملايين، ط7، 1992.
6. سمير السيخاني، معجم الكلمات الجامعة، أقوال مأثورة وحكم، دار الجيل، بيروت، ط1، 2002.
7. محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط7، (د، ت).
8. مصطفى شاكِر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (انجليزي /عربي)، ط1، 1981.

المراجع:

الكتب:

9. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام ومحمد هارون، ج1، ط2، 1995.
10. أحمد شلبي، مقارنة الأديان-أديان الهند الكبرى-الهندوسية، الجينية، والبوذية، دار النشر مكتبة النهضة المصرية، ط11، 2000.
11. أحمد مصطفى فاروق، المقدمة في الانثروبولوجيا، ضمن علم الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2006.

12. إسماعيل فاروق، علم الإنسان الأنثروبولوجيا، مطبعة الجمهورية، الإسكندرية، 1994.
13. أمين سلامة الأساطير اليونانية والرومانية، د ط، د ت.
14. أوفيد، مسخ الكائنات، ترجمة ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1992.
15. أوين ديفينز، السحر، ترجمة رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر، ط1، 2014.
16. بثينة الناصري، الحكاية الشعبية (دراسة وتحليل)، ناشرون، جمهورية مصر العربية، د ط، 2017.
17. بن صالح، الإبداع والتذوق، والجمال، دار دجلة، عمان الأردن، ط1، 2008.
18. توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.
19. جاك لومبارد، المدخل إلى الإثنولوجيا، ترجمة حسين قبيسي، الناشر المركز الثقافي للعرب، بيروت، ط1، 1997.
20. جيمس فرايزر، الغصن الذهبي-دراسة في السحر والدين، ترجمة نايف الخوص، دار الفرقد، سورية-دمشق، ط1، 2014.
21. حسن الباش، موقف الإسلام من السحر والخرافة، دار حطيت للدراسات والنشر، دمشق-بغداد، د ط، د ت.
22. حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، د ت.
23. رياض مقداوي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2012.
24. شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1980.

25. شوقي عبد الحكيم، سيرة ابن هلال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة المشهرة برقم 7762ب، 2012.
26. عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت.
27. عبد الرزاق جعفر، الحكاية الساحرة، دراسة في أدب الأطفال، منشورات اتحاد العرب، (د ط ت).
28. عبد الفتاح أبو المعال، أدب الكفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1998.
29. علي درويش، دراسات في الأدب الفرنسي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1983.
30. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات، التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1997.
31. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2004.
32. غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، د ط، د ت.
33. فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، مطبعة العلم، القاهرة، 1964.
34. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة وبلاد الرافدين، دار الكلمة، بيروت-لبنان، د ط، د ت.
35. فرانتس كافكا، التحول، ترجمة مبارك وساط، (خواطر سريعة ... للتأمل)، من منشورات الجمل، بيروت/لبنان، ط1، (د، ت).
36. فرانتس كافكا، الانمساخ، ترجمة إبراهيم وطفي، دار الكلمة ودار الحصاد، سوريا، ط1، 2014.
37. فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرياض/المغرب، ط1، 1986.

38. فلاديمير بروب، مورفولوجيا الخرافة، ترجمة عبد الكريم حسن ود. سميرة بن حمّو، شارع للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1986.
39. فيليب سيرلنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط1، 1992.
40. قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، توثيق حضاري، الأسطورة، ط1، 2009.
41. قيس الثوري، الأساطير وعلم الأجناس، جامع الموصل، العراق، د ط، 1981.
42. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط 9، 1989.
43. محمد بن طاهر البيروني، تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرفاوي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، جامعة القاهرة.
44. محمد عبد المفيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، لدار الحديثة للطباعة، بيروت، د ط، 1981.
45. محمد كمال جعفر، رمزية الألوان من المقدس الديني إلى السياسي، قسم الدراسات الدينية، 2016.
46. مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1986، 1987.
47. محمد إسماعيل قباري، أسس علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1980.
48. نبيل حمدي الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم، النشر والتوزيع الوراق، (د ط ت)
49. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د ط، ت).

المجلات:

50. زهية طراحة، الحكاية العجيبة وحكاية الأحزمة بقرى منطقة القبائل-مقاربة إثنولوجية-:

Revue Science and vidéo. Des écritures multimédia en sciences)

(humaine. N8. Varia. Liée à l'université de Provence. France 2015.

51. زهية طراحة، بنية الخطاب الأدبي الشعبي، دراسة إناسية، مجلة الخطاب، العدد الأول

2003.

52. هادي نعمان الهيتي، الحكاية الشعبية... أهميتها، عناصرها ووظائفها، مجلة الحوار:

2 نوفمبر 2015.

فهرس الموضوعات

1..... مقدمة

الفصل الأول

مفاهيم نظرية: التحول، الحكاية الشعبية، المقاربة الأنثروبولوجية

6..... المبحث الأول: التحول

6..... 1-تعريف المسخ

8..... 2-الفرق بين المسخ والتحول

9..... 3- التحول "المسخ" والسحر

11..... 4-احتفاظ الممسوخ بصفات جنسه التي كان عليها

12..... المبحث الثاني: الحكاية الشعبية

14..... 1-الحكاية الخرافية

18..... 2-الأسطورة

21..... 3-حكاية الحيوان

23..... 4-السيرة الشعبية

26..... المبحث الثالث: المقاربة الأنثروبولوجية

26..... 1-مفهوم الأنثروبولوجيا

27..... 2-فروع الأنثروبولوجيا

27..... 2-1-الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية)

29..... 2-2-الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم الأناسة الثقافي

29..... 3-أهداف الدراسة الأنثروبولوجيا

30..... 4-بعض النظريات الأنثروبولوجية

30..... 4-1- نظرية الاتصال الثقافي (التثاقف، المثاقفة)

30	4-2- النظرية الماركسية
31	4-3- النظرية المعرفية
31	4-4- النظرية التطورية

الفصل الثاني:

التحول في الحكاية الشعبية - مقارنة أنثروبولوجية

35	المبحث الأول: تقديم مدونة الحكايات
35	1-مدونة الحكايات القبائلية المجموعة من الميدان
35	ملخص حكاية بقرة اليتامى
37	ملخص حكاية "منفية إخوتها السبعة"
41	2-ملخص حكايات "ألف ليلة وليلة"
41	حكاية التاجر مع العفريت
45	ملخص حكاية الصيد مع العفريت
48	ملخص حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل"
52	المبحث الثاني: التحول في الحكايات الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة
52	1-دراسة التحولات في الحكايات القبائلية
52	حكاية "بقرة اليتامى"
54	حكاية "منفية إخوتها السبعة"
56	2-دراسة التحولات في حكايات ألف ليلة وليلة
56	حكاية التاجر مع العفريت
59	حكاية الصيد مع العفريت
60	حكاية "بدر باسم ابن الملك شهرمان وبنت الملك السمندل"

المبحث الثالث: التحول في الحكاية الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة" مقارنة	
أنثروبولوجية مقارنة"	67
1-التحول: أوجه التشابه بين الحكاية الشعبية القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة	67
2-التحول: أوجه الاختلاف بين الحكايات القبائلية وحكايات ألف ليلة وليلة.....	70
3-رمزية الحيوانات التي حوّلت إليها الشخصيات الآدمية	73
3-1- رمزية الحيوانات الأرضية	73
3-2- رمزية الحيوانات المجنحة	75
3-3- رمزية الحيوانات المائية	76
خاتمة.....	80
قائمة المصادر والمراجع.....	83
فهرس الموضوعات	89

الملخص

شاعت ظاهرة تحول الشخصيات من هيئة إلى أخرى في الحكايات الخرافية، كأن تتحوّل الشخصيات الآدمية إلى شخصيات حيوانية، أرضية، ومجنحة، ومائية، ويحدث هذا التحوّل غالبا عن طريق ممارسات وطقوس، وتعويذات سحرية.

يعود أصل هذه الممارسات إلى معتقدات دينية قديمة مارسها الإنسان البدائي، وبقيت رواسبها حية في الذاكرة والمخيلة الشعبية تجسدت في الأساطير والحكايات الشعبية المحلية (القبائلية) والعربية (حكايات ألف ليلة وليلة).